الباب الثانى

تعدد الزوجات

- تعدد الزوجات فى اليهودية ٠
- تعدد الزوجات فى المسيحية ٠
- حقيقة المقال ٠
- الواقع بين النظرية والتطبيق ٠
- تعدد الزوجات فى الاسلام ٠

obeikandl.com

obeikandl.com

تعـــدد الزوجات فى اليهودية

ان تعـــدد الزوجات جائز شرعا فى اليهودية ، ولم يرد فى أســـفار العهد القديم تحديد لعدد النســـاء اللاتى يسمح بالجمع بينهن • فهذه الأســـفار تذكر تعـــدد الزوجات كأمر مفروغ منه ، لكنها تنظم الأمور التى تترتب عليه : « اذا كان **لرجـــل امرأتان : احـــداهما محبـــوبة** والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهـــة • فان كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له أن يقـــدم ابن المحبـــوبة بكرا على ابن المكروهـــة البكر • بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجـــد عنـــده ، لأنه هو أول قدرته ، له حق البكورية ـ تثنية ٢١ : ١٥ ـ ١٧ » •

ولقـــد عـــدد الأنبياء زوجاتهم قبـــل التوراة ، كما فعل ابراهيم ويعقوب • كما عدد الأنبياء بعد التوراة ، كما فعل موسى وجـــدعون وداود وسليمان ، وقد بينا ذلك سلفا بتفصيل ، وكما فعل غيرهم ، مثل ألقانة أبو صموئيل النبى ، الذى كان « له امرأتان : اسم الواحدة حنة (أم صموئيل) ، واسم الأخرى فننة ـ صموئيل الأول ١ : ٢ » •

وبمقتضى تعدد الزوجات نما الشعب الاسرائيلى وتكاثر ، ولقـــد عرفنا فيما ســـبق بعضا من أخبار قضاته الذين أقامهم الله لقيادته بعد يشوع وقبل تأسيس المملكة • فقد كان لجدعون ٧٠ ولدا ، ولابصان ٣٠ ابنا و ٣٠ ابنة ، ولعبدون ٤٠ ابنا و ٣٠ حفيدا « يركبون على سبعين جحشا ! ـ قضاة ١٢ : ١٤ » •

وكذلك يائير الجلعادى الذى « قضى لاسرائيل اثنتين وعشرين سنة • وكان له ثلاثون ولـــدا يركبـــون على ثلاثين جحشـــا ! ـ قضاة ١٠ : ٣ ـ ٤ » •

ان **الكتاب المقدس** يبدأ فى صـــفحاته الأولى بالحـــديث عن خلق

العالم ، ثم خلق الانسان الأول آدم وزوجه ، ثم يحدد للبشر مهمتهم فى الحياة بتحقيق واجبين :

الأول : التناسل بكثرة لملء الأرض .
الثانى : التسلط على الأرض وما فيها .

وفى هذا يقول : « خلق الله الانسان .. ذكرا وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم : **اثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض ، واخضعوها** وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ــ تكوين ١ : ٢٧ ــ ٢٨ » .

ومن هذا المنطلق ، وعملا على تكاثر الشعب الاسرائيلى صاغ علماء بنى اسرائيل هذه المهمة فى قوانين ملزمة ، مثلما جاء فى كتاب : **الاحكام العبرية(١)** .

يقول الكتاب السابع ــ فى النكاح ــ المادة ٣٩٣ :

« النكاح بنية التناسل ودوام حفظ النوع الانسانى فرض على كل يهودى . ومن تأخر عن أداء هذا الفرض وعاش عزبا بدون زواج **كان سببا فى غضب الله على بنى اسرائيل** » .

*

ان التناسل لا يتم الا بالزواج ، وليس بالخصى واعتزال النساء. كذلك التكاثر لا يتم الا بالحض على الزواج واباحة تعدد الزوجات .

والتناسل والتكاثر كانا منذ البدء مشيئة الله وأمره للناس جميعا .

* * *

(١) تأليف المسيودى بغلى من علماء اللغات القديمة ــ نقله الى العربية محمد حافظ صبرى . وقد علق عليه وجعل عنوانه : المقابلات والمناظرات .

تعـــدد الزوجات فى المسيحية

أعلن المسيح فى مستهل دعوته الاطار العـــام لتعاليمـــه ، فقـــال مخاطبا الجموع التى تبعته ووقفت تستمع اليه من بنى اسرائيل :

« **لا تظنوا انى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لانقض بل لأكمـــل** . فانى الحق أقول لكم : الى أن تزول الســـماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض احـــدى هذه الوصايا الصغرى وعلم النـــاس هكذا ، يدعى أصغر فى ملكوت الســـموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات ـ متى ٥ : ١٧ ـ ١٩ » .

وفى نهاية دعوته ، دعا المسيح تابعيه وكل بنى اسرائيل أن يتمسكوا بكل ما يأمرهم به الحفـــاظ على شريعـــة موسى من كتبـــة وفريسيين . وفى هذا يقول الانجيل :

« **حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه** قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبـــة والفريسيون **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظـــوه وافعلوه** . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون ـ متى ٢٣ : ١ ـ ٣ » .

وبين بداية دعوة المسيح ونهايتها ، نجده فى كل حين مرتبطا تماما بناموس موسى ، حريصا عليـــه ، داعيا الى الاستمساك به ، بدءا من **الوصايا** حتى أدق تفاصيل الشريعة اليهودية .

لقد تقدم اليه واحد قائلا : « أيها المعلم الصالح ، أى صـــلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟

فقال له : لمـــاذا تدعونى صالحا ! ليس أحـــد صالحا الا واحد ، وهـــو الله .

ولكن ان أردت أن تدخل الحياة ، فاحفظ الوصايا .

قال له : أية الوصايا ؟

فقال يسوع : لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور . أكرم أباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك ـ متى ١٩ : ١٦ ـ ١٩ » .

وحين شفا أبرصا قال له : « اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهاة لهم ـ مرقس ١ : ٤٤ » .

« وقال له واحد من الجمع : يا معلم ، قل لأخى أن يقاسمنى الميراث .

فقال له : يا انسان ، من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ! ـ لوقا ١٢ : ١٣ ـ ١٤ » .

من هذا ـ وغيره ـ يتبين أن المسيح لم يأت بشريعة جديدة ، وانما جاء ليحافظ على شريعة موسى وتعاليم النبيين من بعده ، ويدعو بنى اسرائيل الى السمو الأخلاقى والتخفيف من الماديات . فاذا كانت شريعة موسى تسمح بالقصاص ، وهذا حق وعدل ، فالأفضل منه ولا شك العفو والتسامح ... وهكذا .

*

لكنا نجد فى الأناجيل تشريعات تنسب للمسيح ، تناقض تشريعات موسى وتهدمها من أساسها .

ان ناموس موسى يسمح بالطلاق ، ويجعله حقا مقصورا على الزوج ، دون الزوجة . وفى هذا يقول :

« اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء ، **وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته** ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر .

فان أبغضها الرجل الأخير ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها

واطلقها من بيتـه أو اذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجـة ، لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجـة ـ تثنية ٢٤ : ١ ـ ٤ » •

فهذا انجيل مرقس ينسب للمسيح تعليما يقول فيه للفريسيين الذين حاولوا استدراجه والايقاع به :

« من طلق امرأته وتزوج بأخـرى يزنى عليها • وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى ـ ١٠ : ١١ ـ ١٢ » •

ولقد ورد هذا القول فى انجيل متى بصيغة مغايرة مع التكرار فى موضعين مختلفين : الأول ، فى موعظـة الجبـل ، فى ٥ : ٣١ ـ ٣٢ ، والثانى فى موضع الاستدراج من الفريسيين ، فى ١٩ : ٩

فهنا نجد الطلاق مسموحا به فى حالة واحدة ، هى حالة ارتكاب الزوجة ـ **وليس الزوج** ـ جريمة الزنا ، فقال فى الاصحاح رقم ٥ : « ان من طلق امرأته **الا لعلة الزنا ـ يجعلها تزنى** • ومن يتزوج مطلقة فانى يزنى » •

ثم جـاء هـذا القول بصـيغة مغايرة فى الاصـحاح رقم ١٩ ، حيث سكت عن أن طلاق الرجل امرأته ، الا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى ، واستبدل ذلك بالحديث عن الزوج الذى يطلق امرأته ويتزوج بأخرى ، فقال :

« ان من طلق امرأته **الا بسبب الزنا** وتزوج بأخرى يزنى • والذى يتزوج بمطلقة يزنى » •

وقد اتفق لوقا (١٦ : ١٨) مع مرقس ومتى فى أشياء ، وخالفهما فى أشياء ••• فهو قد اتفق مع مرقس فى أن : « كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى » •

واتفق مع متى فى أن « كل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى » ، خلافا لمرقس الذى لم يذكر شـيئا من هذا •

واتفق مع مرقس ، وخالفا كلاهما متى فى أنهما لم يجعلا حالة الزوجة الزانية استثناء يعطى لزوجها الحق فى الطلاق ، فلقد أبطلا الطلاق تماما .

*

لقد اختلفت الأناجيل معا ، وأكثر من هذا ذلك الخلاف الحادث بين التراجم القديمة والتراجم الحديثة فى اللغات المختلفة .

ان الدراسة التفصيلية لهذا الموضوع تتطلب عمل جداول ، توضع فيها مختلف النصوص الواردة فى أناجيل مرقس ومتى ولوقا ، فى صورها المختلفة ، وفى تراجمها القديمة والحديثة ، ثم تقارن معا ، آخذين فى الاعتبار أقوال علماء المسيحية فيها ، وأن التراجم الحديثة جاءت لتصحح التراجم القديمة ، وترتقى بقراءاتها الى النص الأصلى المفقود الذى يحاول العلماء دائما بدراساتهم الوصول اليه .

وحتى نجنب القراء كثيرا من التفاصيل التى قد يرى البعض أنها لا تعنيه كثيرا ، لذا نكتفى باعطاء ملخص لأحاديث الطلاق التى وردت فى الأناجيل ، والعلاقة غير المباشرة لهذا الطلاق بموضوعنا الرئيسى وهو : **تعدد الزوجات فى المسيحية** ، على أساس مقارنة النصوص فى ثلاث تراجم مختلفة للأناجيل صدرت فى اللغة الواحدة ، ثم مقارنتها معا فى ثلاث لغات هى : العربية ، والانجليزية ، والفرنسية .

● من انجيل مرقس :

ونبدأ الآن بقول مرقس : « تقدم الفريسيون وسألوه : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ؟ ليجربوه . فأجاب وقال لهم : بماذا أوصاكم موسى ؟ فقالوا : موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق ، فتطلق . فأجاب يسوع وقال لهم : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية . ولكن من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته . ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان .

ثم في البيت سأله تلاميذه أيضا عن ذلك . فقال لهم :

من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها . وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى ـ مرقس ١٠ : ٢ ـ ١٢ » .

يقول **دنيس نينهام** في تفسيره لانجيل مرقس : « ان الفهم الكامل لهذه الفقرة يقتضى موازنتها مع خلفية عادات الزواج اليهودى أيام المسيح . فحسب هذه العادات نجد :

(أ) كان الزنا يعنى دائما اتصالا جنسيا بين امرأة متزوجة ورجل آخر خلاف زوجها . فالمرأة تزنى على زوجها ، لكن الرجل لا يزنى على زوجته ، انما هو يزنى فقط على رجل آخر متزوج ..

(ب) حسب الشريعة اليهودية ، فان المرأة لا تستطيع تطليق زوجها. أما القانون الرومانى فانه يختلف عن ذلك ، كما رأينا (حيث يسمح للزوجة بتطليق زوجها) .

وعلى كل حال ، فهناك قراءة اخرى مشهود بصحتها تماما ، قال بموجبها يسوع : (ان **تركت** امرأة زوجها وتزوجت بآخر ، فقد زنت) ...

وقد رأى **بيركت** في هذا اشارة (من يسوع) الى هيروديا (التى ذكرها مرقس في ٦ : ١٧ وما بعدها) ، والتى كانت قد تركت زوجها لكى تعيش مع انتيباس (أخيه) »[1] .

*

● **من نجيل متى :**

أما متى ، فانه يقول في موعظة الجبل ، على لسان المسيح ، حسب ترجمة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (بروتستانت) : « قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم :

(1) D. Nineham : Saint Mark, p . 266.

ان من طلق امرأته ، الا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى ـ ٥ : ٣١ ـ ٣٢ » .

ويقول متى ، حسب ترجمة منشورات دار المشرق (كاثوليك) :

« .. أما أنا فأقول لكم : من طلق امرأته الا فى حالة الفحشاء ، **عرضها للزنا** . ومن تزوج مطلقة ، فقد زنى » .

ويتفق هذا مع ترجمة لوى سيجو الفرنسية ، أما الترجمة الفرنسية المسكونية فانها تقول « .. **يدفعها للزنا** » بدلا من « عرضها للزنا » .

ويقول **جون فنتون** فى تفسيره لانجيل متى : « لم يذكر استثناء لهذا الأمر فى مرقس ١٠ : ١١ ، أو فى لوقا ١٦ : ١٨ ، وانما فى متى فقط (هنا ، وفى ١٩ : ٩) سمح بالاستثناء فى حالة الفحشاء . وليس من الواضح ما اذا كانت الفحشاء تعنى زنا قبل الزواج (واكتشف فيما بعد) أو زنا بعد الزواج (وهذا أكثر احتمالا) .

وبالنسبة لعبارة الاستثناء التى أوردها متى ، فلنلاحظ ما جاء فى ١٦ : ١٩ ، ١٨ : ١٨ (**كل ما تربطونه فى الأرض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ما تحلونه فى الأرض يكون محلولا فى السماء**) ، عن سلطة الربط والحل المعطاة للرسل ، أى سلطة تكييف القوانين وعمل الاستثناءات . **ويبدو أن السماح بالطلاق فى حالات معينة ، يعتبر مثالا على استخدام الكنيسة الأولى لتلك السلطة** . ولنلاحظ ما جاء فى الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٧ : ١٢ وما بعدها ، حيث يعطى بولس آراءه فى مسائل الزواج ، كما أنه يفرق بصراحة ووضوح بين رأيه وبين أمر الرب (فهو يقول : وأما الباقون ، فأقول لهم ، **أنا لا الرب ، ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها .. وأما العذارى ، فليس عندى أمر من الرب فيهن ، ولكننى أعطى رأيا**) .

على أن التمييز فى فقرات متى هذه (٥ : ٣٢ ، ١٩ : ٩) بين الأمر الأصلى للرب ، وبين تشريع الكنيسة ، **قد غلفه الغموض** »(١) .

*

كذلك ، يقول متى فى مماحكة الفريسيين حول موضوع الطلاق :

« وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له : **هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟**

فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أن الذى خلق من البدء ، خلقهما ذكرا وأنثى . وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان .

قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق ، فتطلق .

قال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا

فهذه العبارة قد حذفت من التراجم

واقول لكم : ان مطلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج بأخرى ، يزنى . والذى يتزوج بمطلقة يزنى .

قال له تلاميذه : ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج .

فقال لهم : **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام** ، بل الذين أعطى لهم . لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات .

من استطاع أن يقبل فليقبل ـ متى ١٩ : ٣ ـ ١٢ » .

---

(١) J. Fenton : Saint Matthew, p. 90 .

أما بقية التراجم الأخرى ، فانها تسقط تعليم المسيح الذى يقول : « **والذى يتزوج بمطلقة يزنى** » . فهذه العبارة قد حذفت من التراجم العربية الحديثة مثل : ترجمة منشورات دار المشرق ، وترجمة منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت ـ وحذفت من التراجم الفرنسية[1] : لوى سيجو ، والمسكونية ، وأورشليم . كذلك حذفت تلك العبارة من التراجم الانجليزية الحديثة[2] مثل : القياسية المراجعة ، والعهد الجديد الأصلى ، وانجليزية اليوم .

يقول **جون فنتون** فى تعليقه على هذه الفقرة (١٩ : ٣ ـ ١٢) من انجيل متى :

« **لقد أعاد متى ترتيب الأحداث المذكورة فى مرقس ١٠ : ٢ وما بعدها** . ففى مرقس ، نجد أن يسوع قد سأل الفريسيين عما أمر به موسى ، فأجابوه . وعندئذ قال يسوع : ان ذلك أمر به بسبب قساوة قلوبهم ، ولم يكن كذلك منذ البدء .

لكن متى يعيد ترتيب هذا بحيث ترد الاشارة الى ما فى سفر التكوين (يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ...) قبل الاشارة الى ما فى سفر التثنية (عن السماح بالطلاق) ، وبذلك فان يسوع لا يسأل الفريسيين عما أمر به موسى (خلافا لما ذكره مرقس) .

كما أن متى أضاف : (لكل سبب) و (الا بسبب الزنا) ، **كما حذف** ما ذكره مرقس من أن الأقوال الأخيرة (ليسوع عن منع الطلاق) قد قيلت بصفة شخصية للتلاميذ (فى البيت) ، **كما أنه حذف** القول الذى توقع امكانية قيام المرأة بتطليق زوجها .

---

(1) LA BIBLE- tr. Lou's Segond; TRADUCTION OECUMENIQUE de LA BIBLE; LA BIBLE DE JERUSALEM

(2) REVISED STANDARD VERSION; THE ORIGINAL NEW TESTAMENT; TODAY'S ENGLISH VERSION.

وبالنسبة للاستثناء الذى ذكره متى هنا : (الا بسبب الزنا) وذكره فى ٥ : ٣٢ ، **فان هذا الاستثناء لا يوجد فى أى موضع آخر فى أسفار العهد الجديد .**

ان معظم المفسرين متفقون على ان هذه الكلمات لم ينطق بها يسوع ، لكنها أضيفت فيما بعد بواسطة الكنيسة التى لها السلطة فى اصدار القوانين »(١) .

هذا ، ومن الملاحظ أنه بعد أن قال المسيح : « ان من طلق امرأته الا بسبب الزنا (أو الفحشاء) وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بأخرى يزنى » قال له تلاميذه : « ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة ، فلا يوافق أن يتزوج » ، آنذاك « أدرك التلاميذ ـ حسب حاشية ترجمة منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ أن يسوع ألغى الطلاق الغاء تاما » .

كما يلاحظ أيضا ، أن المسيح عقب على تعليق تلاميذه الذى يستصعبون فيه تعليم المسيح حول الطلاق والزواج ، فكان رده : **« ليس الجميع يقبلون هذا الكلام » .**

ثم بعد أن ذكر أمر الخصيان ـ وما يعنيه من حض على قتل الرغبة الجنسية ليس بالصبر والمقاومة فقط ، وانما باتلاف أعضاء الجهاز التناسلى وتعطيلها ـ فقد أردف قائلا: **« من استطاع ان يقبل فليقبل » .**

ليس الأمر ـ اذن ـ على صورة الزام ، ولكنه مجرد استحسان ينفذ حسب الطاقة والاستطاعة . ان هذا ما ينطق به الانجيل ...

*

● **من انجيل لوقا :**

« كان الفريسيون أيضا يسمعون هذا كله وهم محبون للمال فاستهزأوا به . فقال لهم : أنتم الذين تبررون أنفسكم قدام الناس ...

---

(١) المرجع السابق ص ٣١١

زوال السماء والارض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس . كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى . وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى – ١٦ : ١٤ – ١٨ » .

يقول **جورج كيرد** فى تفسيره لانجيل لوقا : « ان الكلمة التى ترجمت (نقطة) تعنى حقيقة خطا دقيقا أو ذيلا زخرفيا فى أعلى حرف الكتاب أو أدناه . وحين يقال انه لا يمكن الغاء الذيل الزخرفى لحروف الناموس ، فان هذا يعنى أن كل الناموس ، كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، بكل دقائقه وزخارفه العبرية ، تبقى سارية المفعول الى الأبد . ان هذا يمكن أن يقوله اى حبر ، لكنا لا نستطيع تصوره على شفتى يسوع ، وخاصة فى ضوء الواقع ، اذ أن العبارة التالية لهذا القول تتضمن تغييرا فى ناموس موسى خاصا بالطلاق .. ان ما ذكره مرقس فى ١٠ : ١ – ١٢ ، يساعدنا على ادراك أن يسوع لم يكن يشرع ، لكنه كان يشير الى المعايير الأخلاقية العليا التى تصبح فى مقدور أولئك الذين يعيشون بنعمة الملكوت وقدرته .

لقد قال يسوع ان موسى سمح بالطلاق بسبب قساوة قلوبكم : فحيثما تكون قساوة القلب تنحل الزيجات ، ويجب أن يحمى الطلاق المجتمع من شر أكبر .. ولكن ، هناك فقط فى الملكوت ، حيث يوجد الشفاء من قساوة القلب ، يصبح المثل الأعلى قابلا للتطبيق »[1] .

* *

(١) G. Caird : Saint Luke, pp. 189 - 190.

حقيقة المقال

ماذا قال المسيح ـ بالضبط ـ فى موضوع الزواج والطلاق ؟

ان هذا سؤال يتعلق بموضوع أكبر وهو : ماذا قال المسيح ـ بالضبط ـ فى تعاليمه ومواعظه ؟

لقد اختلفت الاقوال التى تنسب للمسيح فى الموضوع الواحد ، واختلفت الروايات التى تتحدث عن المسيح فى الحادث الواحد . وبين الحين والحين تظهر تراجم حديثة تعيب ما يعترى التراجم القديمة من قصور وما تمتلىء به من أخطاء . فالمشكلة الرئيسية المستعصية التى تواجه العلماء هى : **مشكلة النص** ، وهم يحاولون جاهدين الوصول الى « **النص الأصلى** » بدراسات مضنية ، وأساليب مختلفة . ولما كان قد سبق معالجة مشكلة النص فى دراسة سابقة[1] ، فيكتفى الآن بمسه مسا خفيفا قبل محاولة الاجابة على السؤال الذى طرحناه أعلاه .

*

يقول **المدخل الى العهد الجديد** ـ نقلا عن **الترجمة الفرنسية المسكونية** ـ فى موضوع **نص العهد الجديد** :

« **ان نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت ، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء** التى تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت ، مهما بذل فيها من الجهد ، بالموافقة **التامة للمثال الذى أخذت عنه** .

يضاف الى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانا ، عن حسن نية ،

(١) راجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس .

أن يصوبوا ما جاء فى مثالهم ؛ وبدا لهم أنه يحتوى أخطاء واضحة ؛ أو قلة دقة فى التعبير اللاهوتى . وهكذا أدخلوا الى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ .

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون ، تراكم بعضه على بعضه الآخر ، فكان النص الذى وصل آخر الأمر الى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ؛ ظهرت فى عدد كبير من القراءات .

كان الآباء ، لسوء طالعنا (نحن المسيحيين !) ، يستشهدون به فى أغلب الأحيان عن ظهر قلبهم ، ومن غير أن يراعوا الدقة مراعاة كبيرة ، فلا يمكننا ، والحالة هذه ، الوثوق التام فى ما ينقلون الينا .

المثال الأعلى الذى يهدف اليه علم نقد النصوص ، هو أن يمحص هذه الوثائق المختلفة . لكى يقيم نصا يكون أقرب ما يكون من الأصل الأول . ولا يرجى فى حال من الأحوال الوصول الى الأصل نفسه ..

هدف أصحاب النقد الباطنى ان يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذى قام به الناسخ ، والأسباب التى دعته الى ذلك التدخل ، فيسهل بعد ذلك الارتقاء الى الروايات القديمة التى تفرعت منها سائر الروايات المحرفة .

وبوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصا مثبتا اثباتا حسنا ، وما من داع الى اعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة » (١) !

* *

يأتى بعد ذلك عاملان رئيسيان ، تبين الأناجيل بوضوح ، أن لهما أعظم الأثر فى ما نسب للمسيح من مواعظ وتعاليم ، وهما : دائرة

---

١ ـ العهد الجديد ـ منشورات دار المشرق ـ الطبعة العاشرة .

التبشير بالانجيل ، وتوقع نهاية العالم سريعا • وفيما يلى نبذة عن كل منهما •

● **دائرة التبشير بالانجيل :**

١ ــ قبل أن تحمل مريم العذراء بابنها المسيح ، كانت بشارة الملاك اليها تبين أن رسالة المسيح تختص بالشعب الاسرائيلى فقط ، اذ قال لها :

« ستحبلين وتلدين ابنا •• يعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه • **ويملك على بيت يعقوب الى الأبد** ، ولا يكون لملكه نهاية ــ لوقا ١ : ٣١ ــ ٣٣ » ومن المعلوم أن المسيح لم يملك على بيت اسرائيل يوما واحدا ، لأن مملكته لا تعنى سوى رسالته وسلطانه الروحى • فقد قال بوضوح : « **مملكتى ليست من هذا العالم** ــ يوحنا ١٨ : ٣٦»•

« وأما يسوع ، فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، **انصرف ايضا الى الجبل وحده** ــ يوحنا ٦ : ١٥ » •

٢ ــ ولقد حدد المسيح لنفسه ولتلاميذه ، مجال عمله ودائرة التبشير التى ينبغى التجول فيها ، فبين بكل وضوح أن رسالته تختص بالشعب الاسرائيلى فقط ، فقال قولته الشهيرة : « **لم أرسل الا الى خراف بيت أسرائيل الضالة** ــ متى ١٥ : ٢٤ » •

وكان ذلك هو أمره المؤكد الى تلاميذه : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : **الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة** ــ متى ١٠ : ٥ ــ ٦ » ومن الملاحظ أن المسيح قد أخرج السامريين من دائرة عمله ، رغم أنهم يؤمنون بموسى والتوراة ، كما سبق أن أخرج الأمميين الذين لا يؤمنون بموسى والتوراة •

٣ ــ واذا ما انقضت هذه الحياة ، ثم جاء يوم القيامة ، فان دينونة المسيح وتلاميذه تنحصر فى أسباط اسرائيل الاثنى عشر • فلقد

سـأله بطرس : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فماذا يكون لنـا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ، متى جلس ابن الانسـان على كرسى مجده ، تجلسون انتم أيضا على اثنى عشر كرسـيا تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر ـ متى ١٩ : ٢٧ ـ ٢٨ » ورغم هذا الوضوح فى تحديد دائرة التبشـير المسيحى الحقيقى ، فاننا نجـد انجيـل مرقس ينسب للمسـيح قوله لتلاميذه ، كتعليم آخير : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقه كلها ـ مرقس ١٦ : ١٥ » ونسب اليه مثل ذلك فى خاتمة انجيل متى (٢٨ : ١٩) ، وكذلك انجيل لوقا (٢٤ : ٤٧) .

ان حقيقة هذه الأقوال التى تتحدث عن تبشير العالم بالانجيـل تتضح حين نعلم الآتى :

ان خاتمة انجيل مرقس التى تتكلم عن ظهور المسيح ـ الأعداد من ٩ الى ٢٠ ، والتى تشتمل على العدد ١٥ الذى يتكلم عن تبشـير العالم بالانجيل ـ ليست من عمل مرقس كاتب ذلك الانجيل ، ولكنهـا اضـافات أدخلت اليه حوالى عام ١٨٠ م ، أى بعد أن سـطر مرقس انجيله بنحو ١٢٠ عاما .

يقول نينهام فى تفسيره لانجيل مرقس : « انه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩ ـ ٢٠) تظهر فى أغلب النسخ الموجودة لدينـا من انجيـل مرقس (مثـل نسـخة الملك جيمـس وغيرهـا) الا أن الترجمة القياسية المراجعة مصيبة تماما فى اعتبارها غير شرعية ، منزلة اياها من النص الى الهامش .. ان هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها بالضبط ، ويمكن القول بأنها أصبحت تقبل كجزء من انجيـل مرقس حوالى عام ١٨٠ م »[1] .

وبالنسبة لمـا جاء فى خاتمة انجيل متى (٢٨ : ١٩) من حديث عن التبشير بالانجيل بين جميع الأمم ، فان العلماء يشكون فيها لأسباب

(1) D. Nineham : Saint Mark . pp. 449 - 450,

يذكر منها **ادولف هرنك** : « لم يرد الا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ، ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا .

وأن صيغة التثليث هذه (التى تقول : عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ــ وهى الشطر الثانى من العدد ١٩) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل ، وهو الشىء الذى كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا »[1] .

وبالنسبة لما جاء فى خاتمة انجيل لوقا عن تبشير جميع الأمم ، فان القارىء يستطيع الحكم على مصداقية الفقرة التى تشتمل على ذلك بمجرد قراءتها ، فهى تنسب للمسيح قوله : « كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى **اليوم الثالث** . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا **لجميع الأمم** مبتدئا من أورشليم ــ ٢٤ : ٤٦ ــ ٤٧ » .

ومن المعلوم ــ حسب روايات الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ، أن المصلوب علق على الصليب **يوم الجمعة** ، ووجدت المقبرة خالية **فجر الأحد** . وبالحساب البسيط يتبين أنه لم يدفن « فى قلب الأرض **ثلاثة أيام وثلاث ليال** » ، حسب النبوءة التى أوردها متى فى ١٢ : ٤٠ ، وانما كانت مدة الدفن ــ حسب قول الأناجيل : يوم واحد ، وليلتان ، على أحسن الفروض . وبذلك تكون مصداقية الحديث عن تبشير جميع الأمم بالانجيل ، مساوية تماما لمصداقية الحديث عن القيامة فى اليوم الثالث ، وهو شىء لا يتفق وأبسط الحسابات .

بهذا يتبين من دراسة الأناجيل أن رسالة المسيح خاصة « بخراف بيت اسرائيل الضالة » ولا غير .

*

---

(1) A. Harnack : HISTORY OF DOGMA , Vol. I, p. 79

وحين تتتبع النشاط التبشيرى لتلاميذ المسيح ، بعد رفعه ، نجده منحصرا فى اليهود . **ان هذا ما ينطق به سفر اعمال الرسل** قبل دخول بولس مجتمع التلاميذ . ومن أمثلة ذلك :

« أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس . فاجتازوا الى فينيقية وقبرس وأنطاكية ، **وهم لا يكلمون احدا بالكلمة الا اليهود فقط** ـ أعمال الرسل ١١ : ١٩ » .

« فهذان (برنابا وبولس) سافرا فى البحر الى قبرس . ولما صارا فى سلاميس **ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود** ـ أعمال الرسل ١٣ : ٤ ـ ٥ » .

« أتيا (بولس وسيلا) الى تسالونيكى حيث **كان مجمع اليهود ، فدخل بولس اليهم حسب عادته ، وكان يحاجهم ثلاث سبوت من الكتب** ـ أعمال الرسل ١٧ : ١٠ ـ ١٢ » .

ولما يئس بولس من التبشير بين اليهود **خراف بيت اسرائيل الضالة** ـ فقد فضل أن ينتقل للتبشير بين الأمم الأخرى ، **بدافع من نفسه** . فقد كان « يشهد لليهود بالمسيح يسوع ، واذ كانوا يتاومون ويجدفون ، نفض ثيابه وقال لهم : دمكم على رؤوسكم . أنا برىء . **من الآن أذهب الى الأمم** ـ أعمال الرسل ١٨ : ٥ ـ ٦ » .

وبهذا يتبين أيضا أن تلاميذ المسيح مارسوا التبشير بين اليهود فقط ، حتى جاء بولس الذى خرج بالمسيحية الى العالم ، مخالفا قول المسيح : « **ما جئت الا لخراف بيت اسرائيل الضالة** » .

ويترتب على ما سبق ان تعاليم المسيح ومواعظه ، وحتى تشريعاته ـ ان صح هذا التعبير ـ لا بد أن توجه الى الاسرائيليين ، ووفق مفاهيم اسرائيلية ، ولا علاقة لها بالرومان ، حكام فلسطين آنذاك ، او القانون الرومانى .

* *

● **توقع نهاية العالم سريعا :**

لقد اعتقد المسيحيون الأوائل أن نهاية العالم وشيكة الحدوث ، وأن كثيرا من الذين عاصروا المسيح سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة ، حيث « **نظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير** . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات الى أقصائها ــ متى ٢٤ : ٢٩ ــ ٣١ » .

لقد كان لهذه الأفكار أثرها الخطير فيما خلفه المسيحيون الأوائل من كتابات . وفى هذه تقول **دائرة المعارف البريطانية** :

« ان امتداد الكنيسة المسيحية فى أوروبا خلال القرن الأول ، يبدو فى نظرنا كأنه بداية عهد جديد فى التاريخ . لكن هذه الحركة كان ينظر اليها من زاوية أخرى بالنسبة للذين شاركوا فى امتدادها (من المسيحيين الأوائل) ، **فقد كانت فى نظرهم نهاية بدلا من أن تكون بداية . لقد اعتقدوا أن نهاية الزمان قد غشيتهم ، وان اكتمالها وشيك وسوف لا يتأخر كثيرا .**

ان مؤلفات عصر الرسل والحواريين التى كتب أغلبها تحت تأثير هذا الاعتقاد ، لم يقصد مؤلفوها أن تكون مرجعا دائما لكنيسة تبقى عبر العصور لتكافح على وجه الأرض . لقد كتبت هذه المؤلفات تباعا لتوافق احتياجات الجيل الذى توقع أن يعيش نهاية التاريخ ، وبداية افتتاح رسمى لملكوت الله »[1] .

ويقول **جون فنتون** فى تفسيره لانجيل متى : « لقد اعتقد متى أن العالم المعاصر (للمسيح) ، والذى يمتلىء بالخطيئة والمرض والموت ،

(١) ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA , I960, Vol. 2, p. 514.

سوف يأتى الى نهايته سريعا • وأن يسوع سوف يأتى بمجد ، وأن كل انسان سيكون اما من المباركين أو من الملعونين (٢٥ : ٣١) •

ولقد اعتقد متى أن هذا سوف يحدث سريعا قبل أن يكون رسل المسيح قد أكملوا التبشير فى كل مدن اسرائيل (١٠ : ٢٣) ، وقبل أن يكون بعض معاصرى يسوع قد ماتوا (١٦ : ٢٨) ، وقبل أن يفنى ذلك الجيل الذى عاصر المسيح (٢٤ : ٣٤) •

ومن الواضح أن هذا كله لم يحدث كما توقعه متى •

ورغم أن انجيل متى هو أحد كتب العهد الجديد الذى ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم ، فاننا فى الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد عبروا عن هذه العقيدة •

وفى اعتقاد كثير من العلماء ، أن يسوع نفسه كان يتطلع الى عودته سريعا الى الأرض بعد وفاته ، فى مجد وبهاء »(١) •

ولقد كان لفكرة نهاية العالم سريعا والمجىء الثانى للمسيح ، أثرها فى كتابات المسيحيين الأوائل ، **فبرزت الدعوة الى التسامح المثالى ، والبعد عن متطلبات الحياة ، والدعوة الى ابطال الزواج وتكريس الرهبنة •**

ويتفق العلماء على « أن العهد الجديد يعتبر مجموعة من الكتب سطرها أشخاص ، ولو أنهم اختلفوا كثيرًا فى أشياء أخرى ، فقد اتفقوا فى أنهم يعيشون فى عالم يتجه سريعا الى نهايته •

فهو عالم قد ينجب فيه الرجال والنساء أطفالا ، لكن أحدا منهم لم يتطلع الى جيل تال •

ان السبب الرئيسى فى انعدام التفكير فى الغد ، هو أن ذلك الغد

---

(١) J. Fenton : Suint Matthew, pp. 21 - 22.

سوف لا يأتى • وبناء عليه كان الحض على عدم الزواج ، واهمال تربية الأولاد ، وفقدان روح الجماعة ، وعدم الاهتمام بأمور الدنيا • ان كل هذا واضح فى العهد الجديد •

ومع الاعتراف الكامل بحقيقة أن يسوع وتلاميذه كانوا يتوقعون النهاية الوشيكة للعالم ، فان الدراسة المتأنية للمعتقدات اليهودية التى شاعت فى الفترة من عهد المكابيين (١٦٨ ق•م) حتى مطلع القرن الأول الميلادى ، تبين أن هذه الفكرة لم تكن خرافة تختص بالمسيحيين وحدهم ، لكنه التوقع العام للشعب اليهودى (وهو كما سطر لوقا : أن ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال ـ ١٩ : ١١) •

ان هذا الاعتقاد قد دفعهم للحرب مع روما عام ٦٦ م ، وهى الحرب التى انتهت بانقراض ولاية اليهودية وتدمير أورشليم عام ٧٠ م »[1] •

لقد سيطرت هذه الخرافة على تفكير معاصرى القرن الأول الميلادى ، حتى ان بولس ـ الذى سطر وحده أكثر من ربع صفحات العهد الجديد ـ كان يتوقع أن يبقى حيا الى أن يعود المسيح ، فيلاقيه مع الآخرين فى الهواء ! ، فهو يقول : « اننا نقول لكم هذا بكلمة الرب : اننا نحن الأحياء الباقين الى مجىء الرب ، لا نسبق الراقدين • لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكته وبوق الله ، سوف ينزل من السماء ، والأموات فى المسيح سيقومون أولا • ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم فى السحب ، لملاقاة الرب فى الهواء ـ (١) تسالونيكى ٤ : ١٥ ـ ١٧ » •

وكان ذلك معتقد يوحنا الذى سطر رسائله بعد بولس ، وقال فيها : « أيها الأولاد : هى الساعة الأخيرة ـ (١) يوحنا ٢ : ١٨ » •

لقد كانت رسائل بولس هى أقدم كتابات مسيحية ، وبالتالى فانها

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ـ جـ ٢ ص ٥٢٣

أثرت فى الأناجيل والكتب المسيحية الأخرى ، سـواء تلك التى قبلتها الكنيسة فيما بعد باعتبارها قانونية ملزمة للمسـيحيين ، أو تلك التى بقيت خارج القانون • ولقد كانت فكرة نهاية العالم سريعا والمجىء الثانى للمسيح ، من المعتقدات التى سيطرت على بولس تماما ، وتحت تأثيرها كتب تعاليمه وآراءه فى الزواج والبتولية وغير ذلك •

يقول **رولاند بينتون** فى كتابه **الجنس والحب والزواج** : « لقـد كان بولس أول من أشـار باعاقة الزواج • **وكان السبب فى ذلك • حسب رايه ، هو توقع عودة الرب سريعـا عنـدما يتوقف الزواج •** وقد اتخذ وجهة نظر محافظة ، تحت هـذه الظروف ، فيما يتعلق بكافة العلاقات الاجتماعية ((١) كورنثوس ٧ : حسن للرجـل أن لا يمس امرأة • ولكن بسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها •• **الوقت منـذ الآن مقصر** ، لكى يكون الذين لهم نسـاء كأن ليس لهم نسـاء •• والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه • لأن هيئة هذا العالم تزول) • فكل وضع اجتماعى جسدى ، بالنسـبة له ، سـيان ، ويبقى كما هو حتى تأتى النهاية الوشيكة • ليبق ، اذن ، كل على حاله ، سـواء أكان : عبدا أو حرا ، متزوجا أو غير متزوج ••

على أن بولس سمح بالزيجات للمرة الثانية ، على أنها تنازل فقط (المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا • ولكن ان مات رجلهـا فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط • ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأيى • **وأظـن انى أنا أيضـا عند روح الله** ـ (١) كورنثوس ٧ : ٣٩ ـ ٤٠) •

أما **سفر الرؤيـا** فقـد ذهب أبعـد من هـذا ، وأوحى بفكرة غير مسيحية من أساسها • فهناك ترنيمة تمدح ١٤٤٠٠٠ من الرجال الذين لم تنجسهم النسـاء ، هم جماعة مختارة يتبعون الحمل حيثما يذهب **(هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم أطهار** ـ رؤيا ١٤ : ٤) •

وفى العهد الجديد ، نجد أن المرأة خاضعة للرجل ، لأنها خلقت بعده ((١) كورنثوس ١١ : ٨ ــ ٩) ، أو لأنها كانت مسئولة عن سقوطه (... آدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت ، فحصلت فى التعدى ... (١) تيموثاوس ٢ : ١٥ ــ ١٨) ولقد كانت زينة النساء موضع ذم (لا تكن زينتكم الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب ، بل زينة الروح ... (١) بطرس ٣ : ٣) .

أما حض بولس على عدم اقامة زيجات جديدة بسبب المجىء الوشيك للرب ، فقد فقد صلته بذلك المجىء ، حيث ان الرب لم يجىء ، وبدىء بعد ذلك فى ارجاء الموعد المتوقع لذلك المجىء بالتدريج .. وما دام الأمر كذلك ، فقد تم استبعاد فكرة عدم تشجيع الزواج التى قامت على أساس أن الوقت مقصر »[1] .

* * *

والآن ، وعلى ضوء ما قدمناه من وجود المشكلة الخاصة بنصوص العهد الجديد ، وأن تعاليم المسيح لم تصدر الا بمفاهيم اسرائيلية ولا علاقة لها بالقانون الرومانى ، وأن مؤلفى أسفار العهد الجديد وقعوا تحت تأثير عقيدة تزعم انتهاء العالم سريعا مع عودة المسيح ثانية ، وهى عقيدة اعتبرتها **دائرة المعارف البريطانية** خرافة بعد أن كذبها الواقع ، فانا نعود الآن لمحاولة الاجابة على السؤال الذى تصدر هذا الفصل ، وهو : ماذا قال المسيح ــ بالضبط ــ فى موضوع الزواج والطلاق ؟

نبدأ معالجة هذا الموضوع بمراجعة التراجم الحديثة وما أدخلته من تعديلات على التراجم القديمة ، فنلاحظ الآتى :

١ ــ تم اسقاط الشطر الثانى من متى ١٩ : ٥ ، الذى يقول :

---

(١) Ro'and Bainton : Sex, Love and Marriage, pp. 24 — 27 .

« والذى يتزوج بمطلقة يزنى » . وبذلك يسقط هذا القول أيضا من متى ٥ : ٣٢ ، ومن لوقا ١٦ : ١٨

٢ ــ انفرد مرقس بقوله فى ١٠ : ١٢ « ان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى » . وهذا القول لا مكان له فى بيئة اسرائيلية كالتى عاش فيها المسيح وتلاميذه ، حيث يسود الناموس والمفاهيم الاسرائيلية التى تربى الشعب اليهودى عليها عقائديا واجتماعيا ، وتقوم أساسا على أن الطلاق حق من حقوق الزوج . وليس من حقوق الزوجة ، وأن تعدد الزوجات مشروع ، يمارسه الرجال وفق شريعة موسى .

والصحيح فى قول مرقس هذا ، هو تلك القراءة التى شهد بصحتها العلماء ، وتقول : **« ان تركت امراة زوجها وتزوجت بآخر تزنى (او : فقد زنت) »** .

وهذا حق واضح ، وموقف اتخذه المسيح تعضيدا ليوحنا المعمدان الذى ندد بهروب هيروديا من زوجها ، وذهابها للعيش مع هيرودس أخى زوجها . فقد تزامن نشاط يوحنا والمسيح فترة من الوقت ، قبل أن يلقى يوحنا فى السجن :

« بعد هذا جاء يسوع وتلاميذه الى أرض اليهودية ومكث معهم هناك ، **وكان يعمد . وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب سالم** ، لأنه كان هناك مياه كثيرة ، **وكانوا يأتون ويعتمدون . لانه لم يكن يوحنا قد القى فى السجن** ــ يوحنا ٣ : ٢٢ ــ ٢٤ » .

٣ ــ تعدل الشطر الأول من قول متى فى ٥ : ٣١ ، والذى نسبه للمسيح فى موعظة الجبل ، ليكون حسب التراجم الحديثة : « من طلق امرأته ، الا فى حالة الفحشاء ، عرضها (أو : يدفعها) للزنا » . وهذا واضح أيضا اذ أن المطلقة غير مرغوب فى زواجها ، حسب التقاليد الاسرائيلية ، لدرجة أن شريعة موسى تضعها جنبا الى جنب مع المدنسة والزانية اللاتى يحظر على الكاهن أن يتزوج منهن (لاوين ٢١ : ٧) .

ولهذا فان المطلقة قد تبقى بلا زواج ، فتتعرض بذلك للسقوط فى الزنا .

وعندما يتعرض الانسان لشىء ما ، فليس بالضرورة أن يحدث له ذلك الشىء ، فهو قد يحدث أو لا يحدث . ان هذا مشهود فى حياة الناس اليومية .

وبالنسبة للاستثناء الذى ذكره متى بقوله : « الا فى حالة الفحشاء (أو : الزنا) » فقد شك فيه العلماء باعتباره ليس من أقوال المسيح ، ولكنه اضافة من عمل آباء الكنيسة فيما بعد . هؤلاء الآباء الذين أخذوا سلطة التحريم والتحليل باسم المسيح ، بينما يشهد التاريخ على ما كان عليه حالهم خلال **المجامع** التى عقدوها عبر القرون ، والتى غالبا ما تذكر فى المناظرات الدينية بين مختلف الفرقاء . فقد حدث فى الحوار الذى جرى فى مدينة ليبزج بألمانيا عام ١٥١٩ بين **مارتن لوثر** والدكتور آك حول سلطة البابا . فقد « حاول أن يستخدم أقوال الآباء فى اقناع لوثر ، وشدد آك على أن الذى لا يعترف بسلطان بابا روما ، لا يعتبر عضوا فى كنيسة يسوع المسيح . وعندما سأله لوثر : ماذا تقول ــ اذن ــ فى الذين قدموا حياتهم وعاشوا الايمان المسيحى بكل تقوى وقداسة ؟ ... واستطرد أيضا يقول : ما رأيك فى موقف بولس الذى وبخ بطرس علانية ؟ هل كان بطرس معصوما من الخطأ ؟

وواصل دفاعه بالقول : **وما رأيك فى المجامع ، فقد حكم الواحد على الآخر وحرمه ، فمن هو الحارم الحقيقى ، ومن هو المحروم الحقيقى** » ؟(١)

وللعلماء الحق فى شكهم فى ذلك الاستثناء الذى وضعه متى لسبب

---

(١) مارتن لوثر ــ الدكتور القس حنا جرجس ص ٩٢

بسيط . وهو أن المرأة المتزوجة التى تزنى ، عقوبتها القتل حسب ناموس موسى : « اذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل ، **يقتل الاثنان** ، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة . فتنزع الشر من اسرئيل ـ تثنية ٢٢ : ٢٢ » فلا مكان هنا للحديث عن الطلاق ، حيث كان الاسرائيليون أيام المسيح واعين لذلك ؛ كما تؤكده رواية المرأة الزانية التى ذكرها يوحنا (فى ٨ : ٣ ـ ١١) ؛ اذ جاء بها الكتبة والفريسيون الى المسيح ليقيم عليها الحد .

٤ ـ ما ذكره متى فى موعظة الجبل ؛ سواء فى صيغتها القديمة ، أو صيغتها المعدلة التى تقول : « من طلق امرأته ، الا فى حالة الفحشاء ، عرضها (أو : يدفعها) للزنا ـ ٥ : ٣١ » ، لا علاقة لها من قريب أو بعيد بتعدد الزوجات . فكل ما يدعو اليه هذا التعليم ـ حتى لو أضفنا اليه العبارة التالية له ؛ والتى تقول : من تزوج مطلقة فقد زنى ـ هو الحض على عدم الطلاق والتنديد به ، اذ يمكن الزواج بغير المطلقة والبعد بذلك عن مخالفة هذا التعليم .

٥ ـ ما ذكره مرقس فى ١٠ : ١١ من أن : « من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى عليها » يعتبر نصا مقيدا يربط الزواج اللاحق بطلاق سابق ، ومن هنا فانه ينهى عن ذلك .

ولا يعتبر هذا نهيا عن تعدد الزوجات ، لأن هذا الذى طلق الزوجة الأولى ، وتزوج غيرها ، الزوجة الثانية ، لا يزال يعيش مع زوجة واحدة ، فهو لم يعدد زوجاته . فمثله كمثل من ماتت زوجته ، فتزوج غيرها . وهذا يؤكد بوضوح أن هدف هذا التعليم ـ ان صح قوله بهذه الصيغة ـ هو التنديد بالطلاق .

وماذا يحدث لو تزوج رجل بامرأتين ؛ أو أكثر ، فى وقت واحد ، ولأول مرة فى حياته ؛ دون أن يمارس طلاقا سابقا ؟

لا يوجد نص واحد صريح يمنع مثل هذا .

بل انا لنجد فى الأمثال التى ضربها المسيح ـ من واقع الحياة ـ

وأصدر أحكامه فيها صراحة أو ضمنا ، ما يؤيد عدم تعريضه بتعدد الزوجات ، وذلك فى مثل **العذارى** :

« يشبه ملكوت السموات **عشر عذارى** أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس • **وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات** • أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا • وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن • وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن • ففى نصف الليل صار صراخ : هو ذا العريس مقبل فاخرجن للقائه • فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن • فقالت الجاهلات للحكيمات : أعطيننا من زيتكن فان مصابيحنا تنطفىء • فأجابت الحكيمات قائلات : لعله لا يكفى لنا ولكن ، بل اذهبن الى الباعة وابتعن لكن •

وفيما هن ذاهبات ليبتعن **جاء العريس والمستعدات دخلن معه الى العرس واغلق الباب** •

أخيرا جاءت العذارى أيضا قائلات : يا سيد افتح لنا • فأجاب وقال : الحق أقول لكن : انى ما أعرفكن • فاسهروا اذن لأنكن لا تعرفن اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الانسان ــ متى ٢٥ : ١ ــ ١٣ » •

فهذا المثل يقر بتعدد الزوجات الذى سمح به ناموس موسى ، ومارسه الآباء والانبياء ، ومارسه الشعب الاسرائيلى ، كما مارس الطلاق أيام المسيح ، لكنه يندد فقط بتقاعس العذارى الجاهلات وعدم استعدادهن ليوم الزفاف •

وقبل هذا المثل مباشرة ، ضرب المسيح **مثلا آخر هو مثل الوكيل الأمين** ، حيث يقول : « من هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه • طوبى لذلك العبد الذى اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا • الحق أقول لكم : انه يقيمه على جميع أمواله •

ولكن ان قال ذلك العبد الردىء فى قلبه : سيدى يبطىء قدومه • فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى • يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها ، فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين•هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ــ متى٢٤ : ٤٥ ــ ٥١»•

فالعلاقات بين السيد وعبيده فى هذا المثل مشروعة ومعروفة، ولكن سلوك السيد مع عبيده يتحدد وفق سلوكهم • وهنا حدث المديح لذلك العبد النشط المطيع ، كما حدث التنديد بذلك العبد الردىء •

كذلك فان العلاقات بين العريس وعرائسه العشر مشروعة ومعروفة ، ولكن سلوك العريس مع عذاراه يتحدد وفق سلوكهن • وهنا حدث المديح للعذارى المستعدات ، كما حدث التنديد بالعذارى الغافلات • **وكان هذا المثل اقرارا بتعدد الزوجات .**

٦ ــ حين أعطى المسيح تعاليمه التى ذكرتها الأناجيل عن الطلاق والزواج ، كان هناك فى الشعب الاسرائيلى رجال للواحد منهم زوجات عديدات •

فما الحكم بالنسبة لهذا الوضع ، اذا كان الواحد منهم ثم يطلق أيا من نسائه ، ولم يضف أليهن زوجة جديدة ؟

الذى لا شك فيه ، أن مثل هذا الوضع العادى لا يخضع لأى نص من جميع النصوص التى أوردها متى ومرقس ولوقا ، وتحت أى صيغة من الصيغ ، سواء أكانت حسب التراجم القديمة أو الحديثة • ومن ثم يبقى كل رجل منهم على حاله ، يعيش فى مشروعية مع زوجاته وسراريه العديدات •

ان هذا يؤكد ، مرة أخرى ، مشروعية تعدد الزوجات .

٧ ــ لقد رأينا سلفا أن ناموس موسى حدد أنواع النساء اللاتى يمكن للكهنة الزواج منهن • فقد « قال الرب لموسى : كلم الكهنة

بنى هرون وقل لهم .. امرأة زانية ، أو مدنسة لا يأخذوا ، ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها ـ لاويين ٢١ : ١ ، ٧ » .

وهذا يعنى بداهة أن الكاهن يستطيع الزواج بامرأة من النوعين الآتيين : **عذراء ، او أرملة** .

أما بالنسبة للكاهن الأعظم ، فليس أمامه الا نوع واحد فقط ، « فهذا يأخذ **امرأة عذراء** ـ لاويين ٢١ : ١٣ » .

ومعنى ذلك بداهة : أنه يحرم على الكاهن الأعظم الزواج من بقية أنواع النساء وهن : الأرملة ، والمطلقة ، والمدنسة ، والزانية . وهذا ما قرره النص فى لاويين ٢١ : ١٤ .

قياسا على ذلك نقرأ تعاليم بولس فيما يتعلق بزواج الأساقفة والشمامسة . فهو يقول : « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم **بعل امرأة واحدة** ، صاحيا ، عاقلا ، محتشما .. **غير مدمن خمر** ..

ليكن الشمامسة كل **بعل امرأة واحدة** (١) ـ (١) تيموثاوس ٣ : ٢ ، ١٢ » .

ان هذه الصيغة ، تعنى بداهة ، أن الاقتصار على امرأة واحدة انما هو متعلق بطبقة الاكليروس . أما الآخرون وبقية الشعب ، فلا يخضعون لنظام الزوجة الواحدة ، وبالتالى فان لهم نظاما آخر يسمح بتعدد النساء ، سواء كن زوجات او سرارى .

٨ ـ حين تكلم متى عن مماحكة الفريسيين مع المسيح حول

---

(١) — « the husband of one wife » (R. S . Y .)

— « remain married to one wife (The Orig nal New Testnment)

— « moris d'une seule femme » (T. O. B.)

— « maris d'une seu e femme » (La Bible de Jerusa em)

موضوع الطلاق ، وقوله لهم : « من طلق امرأته الا لفاحشة (أو : لعلة الزنا) وتزوج غيرها فقد زنى ــ ١٩ : ٩ » ، استصعب التلاميذ هذا الأمر : فقال لهم : « **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام** » .

وبعد أن ذكر أمر الخصيان ، قال « **من استطاع أن يقبل فليقبل** » .

فاذا كان هذا تشريعا أو تعليما قصده المسيح ، هل يتركه على هذه الصورة التى تعترف بتفاوت استطاعة الناس قبوله ، أم يضعه فى صورة ملزمة ؟!

ان ما عقب به المسيح قائلا : « من استطاع أن يقبل فليقبل » يعنى بداهة ترك التقيد بتعاليمه تلك حسب استطاعة الناس . فتعاليمه هذه المتعلقة بالطلاق والزواج ، استحسان وليست الزاما .

٩ ــ يذكر مرقس أنه فى مماحكة الفريسيين مع المسيح حول موضوع الطلاق ، أنه استشهد فى رده عليهم بما جاء فى سفر التكوين ٢ : ٢٤ عن خلق الانسان ذكرا وأنثى منذ البدء ، فقال : « من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه **ويلتصق بامرأته** . ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذن ليسا بعد اثنين ، بل جسد واحد . **فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان** ــ ١٠ : ٦ ــ ٩ » .

وهنا تجدر الاشارة الى الآتى :

(١) تعدلت فى التراجم العربية الحديثة للكاثوليك ــ الصادرة عن دار المشرق ــ : عبارة : « ويلتصق بامرأته » ، لتكون : **ويلزم امرأته** » .

(٢) لم يستخدم كاتب انجيل مرقس الأصلى هذه العبارة : « ويلتصق بامرأته » أو « ويلزم امرأته » التى جاءت فى ١٠ : ٧ ، ولكنها أضيفت فيما بعد . ولذلك حذفتها التراجم الحديثة ــ **مثل ترجمة**

منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ فأصبحت تقرأ هكذا : « لذلك يترك الرجل أباه وأمه » ، فقط .

وأهمية ذلك هو بيان ما تعرض له النصوص من حذف ، او اضافة ، او كليهما ، عبر التاريخ .

(٣) تعنى كلمه « جسد واحد » ، لما يقول جون فنتون ، أن الزوج والزوجه « صارت علاقتهما محكمه على نحو ما يكون بين أعضاء الاسرة الواحده ، او كالعلاقة بين أوصال الجسم الواحد »[1] ، كالذراعين والرجلين وما شابه ذلك .

فهما انسانان ، لكل شخصيته المستقلة ، ونفسه وما جبلت عليه ، ولكن العلاقة الزوجيه ربطتهما كاعضاء فى الجسد الواحد . ولقد طور يوحنا هذا الفكر حتى انه قال : « **ليكون الجميع واحدا** ـ ١٧ : ٢١ »

ولقد جرى القول احيانا بان فكرة الجسد الواحد هذه توحى بأن يكون للرجل امرأة واحدة ، وهذا ينفيه ما قاله يوحنا عندما جعل الجميع واحدا ، وكان يعنى بذلك تلاميذ المسيح والمؤمنين به .

وينفيه كذلك ما اصطلح الناس على فهمه عبر العصور ، وفى مختلف الثقافات ، من التعبير بالوحدة عن جمع من الناس ، أيا كان عددهم ، عندما يربطهم فكر واحد ، أو يعبرون عن مشاعر واحدة . يقول دنيس نينهام : « ان هناك ما يدعو الى التفكير فى أن ما جاء فى سفر التكوين ١ : ٢٧ (ذكرا وأنثى خلقهم) كان يجرى الاستشهاد به لتدعيم نظام الزوجة الواحدة ، ضد نظام تعدد الزوجات ، **لكن يبدو أن يسوع استخرج منه معنى جديدا ، فرأى انه يمنع الطلاق .**

---

(1) J. Fenton : Saint Matthew , p. 309.

لقد كان برهانه الجدلى ، بلا شك ، يقوم على أنه اذا كان الزواج يجعل الرجل وزوجته جسدا واحدا ، فان هذا يعنى بوضوح ، خلق علاقة بينهما تكون فى واقعيتها وعدم تفككها مثل رابطة الدم التى تربط الرجل بأقاربه . (انظر ما جاء فى سفر التكوين ٢٩ : ١٤) »[1] .

وهذا الذى أشير اليه يذكر قول لابان الى ابن أخته يعقوب : « انما أنت عظمى ولحمى » .

(٤) من الواضح أن استخدام المسيح لما ورد فى سفر التكوين من أن الزوجين صارا جسدا واحدا ، انما كان تدعيما للحض على منع الطلاق ، بدليل أنه عقب على ذلك بقوله : « فالذى جمعه الله ، **لا يفرقه انسان** » .

ان الحديث عن الرجل والمرأة كجسد واحد ، ليس اذن حديثا عن نظام الزوجة الواحدة ، ولكنه حديث عن استمرارية العلاقة بينهما ، ومن ثم فهو حديث يتعلق بالطلاق ، وليس بتعدد الزوجات .

١٠ ــ لقد جاء المسيح معلما وواعظا ورحمة من الله ، فاذا كان فى تعاليمه الاساسية تحريما للطلاق وتعدد الزوجات ، هل كان يغفل هذا الجانب الخطير فى حياة الناس من ذكره أو الاشارة اليه فى انجيل يوحنا ؟!

لقد خلا هذا الانجيل تماما من كل ما يتعلق بهذا الموضوع .

١١ ــ أجمع علماء المسيحية على أن ما ينسب للمسيح من منع للطلاق يعتبر نقضا صريحا وواضحا للناموس ، وذلك خلافا لما سبق أن أعلنه فى مثل قوله : « ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ... » أو قوله : « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » .

---

(١) D. Nineham : Saint Mark, p. 265.

وفى هذا تقول **الترجمة الفرنسية المسكونية** فى تعليقها على ما جاء فى لوقا ١٦ : ١٨ : **« ان هذا التحريم للطلاق التقليدى يعتبر واحدا من اكثر تعاليم المسيح نقضا صريحا لناموس موسى »** .

*

● **الخلاصـــة :**

بعد هـذا الذى رأيناه ، وما حدث لنصوص الطلاق والزواج المذكورة فى الأناجيل بتراجمها المختلفة ، نجد أنه لا يمكن التأكد من حقيقة مقال المسيح فى موضوع الطلاق والزواج .

هل قال المسيح ، مثلا :

« من طلق امرأته ، الا لعلة الزنا (أو : الا فى حالة الفحشاء) :
ـ جعلها زانية (الكتاب المقدس للكاثوليك) ، أو
ـ عرضها للزنا (المطبعة الكاثوليكية) ، أو
ـ يدفعها للزنا (الفرنسية المسكونية) .
ان الفرق بين هذه الصيغ الثلاث واضح وكبير .
نحن ـ اذن ـ أمام احتمالات ...

لكن هناك قاعدة فقهيـة عامة ، تعارف عليها النـاس فى مختلف العصور والبيئات ، قاعدة تقول :

ان ما تسرب اليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال .

لقد عرفنـا ما قالته **الكنيسة** فى العهـد الجـديد وأسـفاره :

« ما من داع لاعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة » .

فهذه النصوص التى بين أيدينا ، نصوص احتماليـة ومؤقتـة ، معرضـة للتغيير والتبديل على ضوء ما يستجد من بحوث ودراسات .

ولقد سـبق أن دخـل التصحيح والتعـديل على فقرات تتعلق بموضوع أخطر بكثير من موضوع الطلاق والزواج ، ألا وهو موضوع

العقيدة . فلقد أسقطت التراجم الحديثة تلك الفقرة التى وجـدت فى الرسالة الأولى ليوحنا ، وجعلت الثلاثة واحدا ، اذ كانت تقول :

« (٦) والروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق .

(٧) فان الذين يشهدون فى السـماء هم ثلاثة : الآب ، والكلمـة ، والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد ـ ٥ : ٦ ـ ٧ » .

لقد اختفت فقرة التثليث هذه (العدد ٧) من التراجم الحديثة ، واختفى بذلك النص الوحيـد فى أسـفار العهد الجديد الذى قال : « وهؤلاء الثلاثة هم واحد » ، فكان بذلك البرهان الوحيـد لعقيدة التثليث طوال القرون المـاضية .

وقياسـا على ذلك ، فمن المتوقع أن تتعرض نصوص الطـلاق والزواج التى اوردتها الأناجيل لتعديلات تجعلها تستقر على صيغ أكثر اتفاقا وأكثر تحديدا ووضوحا .

والى أن يحدث ذلك ، والعلم عنـد الله ، فلنا أن نقرر أصـولا ومفاهيم عامة ، تستقى من المحتوى الكلى لأسـفار الكتاب المقدس ، نجملها فيما يلى :

(١) ان **المسيح** الذى ألزم نفسه بالحفـاظ على ناموس موسى ، لا يمكن أن ينقض ذلك الناموس بتحريم الطلاق وتعـدد الزوجات .

(٢) وأنه اذا كان **مسيح الأناجيل** قد اعتقد أن نهاية العالم وشيكة ، وأنها سوف تحدث مصحوبة بعودته الى الأرض خلال الجيـل الذى عاصره واستمع الى مواعظه ، أو خلال القرن الأول الميلادى على أكثر تقدير ، فانه :

ـ قد يحض الناس على نبذ الطلاق ، فلا داعى لفسـخ وحـدة أسرية طالمـا كانت نهاية الحيـاة وشيكة . فهـو لا يحرم الطـلاق ، حفاظا على شريعة موسى ، لكنه يكره الناس فيه .

ـ كذلك فانه قد يحض الناس على عدم الاكثـار من الزواج ، وقـد يحببهم فى البتوليـة ، طالمـا كان الوقت مقصرا ، والعـالم فى سـاعته الأخيرة • لكنه لا يحرم الزواج ولا تعدد الزوجات ، حفاظا على شريعة موسى •

ان مراجعـة ما تذكره الاصحاحـات الأولى من **الكتاب المقدس** عن قصة الخلق وتاريخ الانسانية والأحداث الهامة ، تبين حسبما تذكره **دائرة المعارف البريطانية** ، الآتى :

«تقـدر النسـخة العبرية للفترة من بدء الخلق حتى الطوفـان ١٦٥٦ عاما ، بينما يبلغ تقديرها فى النسخة السامرية ١٣٠٧ عاما ، وفى النسخة الاغريقية ٢٢٦٢ عاما •

كذلك تقدر النسخة العبرية للفترة من الطوفان حتى دعوة ابراهيم ٣٦٥ عاما ، بينما هى فى النسخة السامرية ١٠١٥ عاما ، وفى النسـخة الاغريقية ١١٤٥ عاما •

ان هذه الأرقام ترجع الى أصـول بابلية ، ولكنها عديمة القيمة التاريخية • وحتى لو أخذنا بوجهة النظر التى تقـدر عام ١٤٩١ ق•م • تاريخا لخروج الاسرائيليين من مصر ـ رغم أنه تاريخ مبكر أكثر من المحتمل ـ فان تاريخ بدء الخليقة يرجـع الى عام ٤١٥٧ ق•م حسب النسخة العبرية (والى عام ٥٣٢٨ ق•م• حسب النسخة الاغريقية) »[1] •

واذا أخـذنا التقدير المرتفع لتـاريخ بدء الخليقـة ليكون عام ٥٣٢٨ ق•م ، حسب روايات النسخة الاغريقية ، فان هذا يعنى أنه ، ونحن الآن فى عام ١٩٨٩ م ، قـد انقضى نحو ثلث عمر البشرية ولم يعد المسـيح الى الأرض وفق نبوءاته التى حددها بجيل ، لا تتعدى مدته نحو ٤٠ عاما •

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ـ الجزء الثالث ص ٥١٠

لقـد أثبت الواقع ـ **والواقع دائما خير برهان ـ أن** الموقف يحتاج الى مراجعة شاملة للنصوص ، واعادة النظر فيما استسلم له الناس من تقاليد متوارثة ؛ ارتقوا بها الى مستوى الشريعة المقدسة • **لقد** فرض **الكتاب المقدس** الأخـذ بحقيقة الواقع ، واعتباره معيارا صحيحا للحكم على صدق النبوات ، فقال :

« ان قلت فى قلبك ؛ كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب • **فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم بـه الرب ، بل بطغيان تكلم بـه النبى ، فلا تخف منـه** ـ تثنية ١٨ : ٢١ ـ ٢٢ » •

* * *

الواقع بين النظرية والتطبيق

ما أسهل بناء القصور فى الهواء ...

فاذا ما استيقظ الوعى وواجه الواقع ، أدرك الحقيقة ، وأن الأمر لم يكن سوى أضغاث أحلام ...

هكذا الحال فى شتى مجالات الحياة ، ومن ضمنها مجال التشريع وسن القوانين التى تنظم حياة الناس .

فبعض التشريعات تصدر وكأنها تختص بمخلوقات غير بنى آدم ، وما جبلوا عليه من ضعف فطرى ، وما أودع فيهم ـ وفق حكمة الخالق جل وعلا ـ من غرائز لا يستطيعون تجاهلها ، فتفشل مثل تلك التشريعات عند التطبيق ، وتدفع الناس الى التمرد عليها وانكارهما عمليا .

وهناك تشريعات أخرى تراعى مختلف العوامل المؤثرة فى سلوك البشر ، وتوازن بين ما جبل عليه الناس ، وما هو مستهدف من الارتقاء بهم فكرا وسلوكاً ، فتنجح عند التطبيق ، وتتحقق الأهداف المرجوة منها .

ويزداد الأمر خطورة عندما تكون التشريعات دينية : ففى الحالة الأولى ، يكون ثمن التمرد عليها باهظا ، اذ تكون العقوبة شديدة فى الآخرة . وأما فى الحالة الثانية ، فانها تضمن بتوازنها ، الخير للناس فى الدنيا والآخرة .

ونريد الآن أن ننظر فى بعض التشريعات والتعاليم المسيحية على ضوء الواقع ، لنرى مقدار المواءمة بين النظرية والتطبيق .

* *

أولا ـ تحريم الطلاق وتعدد الزوجات فى المسيحية

لا يحتاج الأمر فى موضـوع الطلاق الى كثير بيان • فالأمر واضح تماما ، حيث تمرد الغرب المسيحى على ذلك التشريع الدينى الذى حرم الطلاق ، واستبدله بتشريع مدنى أباح له الطلاق •

● الطلاق فى فرنسا :

« كان الطلاق فى فرنسا محرما فى عصر الاقطاع ، وفى القانون القديم حتى اعلان الثورة (عام ١٧٨٩) • وجل ما كان يمكن التماسه هو طلب الفرقة (الهجر) اذا تعذر اتفاق الزوجين ومعاشرتهما ••

الا أن مفهوم الطلاق قد تغير تماما بعد ثورة عام ١٧٨٩ وأجيز الطلاق بقانون ٢٠ أيلول (سبتمبر) سنة ١٧٩٢ ، وقد جاء فى الأسباب الموجبة لهذا القانون : ان الرغبة فى الطلاق تنبعث عن الحرية الشخصية ، وان ارتباط الزوجين مع عدم انحلال رابطة الزوجية معناه فقدان الحرية •• فالطلاق يمكن حصوله فى هذا القانون ، **تارة بمعرفة القضاء لاسباب معينة (الزنا ، سوء المعاملة ، العقوبة ، الجنون ، الغياب الطويل) ، وأخرى برضا الزوجين المتبادل بتقديم تصريح لمرشد الأحوال الشخصية بإعلان الطلاق ، أو عند عدم اتفاق الزوجين بسبب مغايرة الطباع والاخلاق** •

وقد ألغى هذا القانون الفرقة (الهجر) لأنه اعتبره تدبيرا ناقصا لا يوجد ما يبرر بقاءه •

وبقى الحال على هذا المنوال الى عام ١٨٠٤ الذى وضع فيه القانون المدنى الفرنسى ، فقبل فكرة الطلاق ولكنه قيده بالمواد ٢٢٩ وما بعدها • وأصبح الطلاق لا يمكن ايقاعه الا عن طريق القضاء ، **ولأسباب معينة واقعة تحت الحصر وهى : الزنا ، صدور العقوبة ، سوء المعاملة ، الاهانة الجسيمة • وأعيد الفراق الجسدى** ليتيح للأشخاص المتدينين طلبه بدلا من انحلال الزواج كليا •

وفى عام ١٨١٤ ، بعد عودة الملكية الى فرنسا ، ورد فى دستور هذا العام أن مذهب الدولة هو الكاثوليكى ، فحرم قانون سنة ١٨١٦ الطلاق وأجاز الفراق مراعيا مبادىء الكنيسة . وبقى الأمر كذلك حتى عام ١٨٨٤ ، حيث بدت نزعة شعبية فى اجازة الطلاق ، فجاء قانون ٢٧ تموز (يوليو) سنة ١٨٨٤ الذى أكمل بقانون ١٨٨٦ فأعاد الطلاق لفرنسا . وهذا القانون اللذان عدلا المواد ٢٢٦ وما يليها من القانون الفرنسى لا تزال أحكامهما مرعية الى اليوم مع ملاحظة التعديل الذى حصل فى ١٢ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٥ الذى ساوى بين الزوجين فى طلب الطلاق .

فأسباب الطلاق اليوم بالقانون الفرنسى محصورة بما يلى :

١ ـ زنا أحد الزوجين على الاطلاق .

٢ ـ الحكم على أحدهما بعقوبة شائنة .

٣ ـ سوء معاملة أحد الزوجين للآخر أو تعذيبه أو اهانته اهانة جسيمة اذا كان من شأنها الاخلال بالواجبات الزوجية وصيرورة البقاء فى الحياة الزوجية صعبا »[1] .

*

● **الطلاق فى سويسرا :**

« يستطيع كل من الزوجين فى سويسرا أن يطلب الطلاق **فى حالة الزنا .. ولأحد الزوجين طلب الطلاق اذا وقع عليه اعتداء من الآخر ، أو تعذيب ، أو اهانة جسيمة .**

ويجوز طلب الطلاق :

١ ـ اذا حكم على أحد الزوجين بعقوبة شائنة ، أو سلك سلوكا مخلا بالشرف من شأنه جعل الحياة الزوجية غير ممكنة بالنسبة لطالب الطلاق .

٢ ـ فى حالة هجر الزوج زوجته عن نية سيئة مدة سنتين ، وفى حالة عدم تقديم مسكن شرعى لها بلا سبب مشروع .

---

(١) الطلاق فى الاسلام : مولانا محمد على ص ١٩ ـ ٢١

٣ ـ **اذا اصاب احدهما مرض عقلى** جعل الحياة الزوجية متعذرة على شرط استمرار المرض مدة ثلاثة أعوام مع ثبوت تعذر شفائه طبيا »[١] .

*

● **الطلاق فى المانيا :**

« أجاز القانون الألمانى الطلاق لأسباب معينة :

١ ـ **الحكم على احد الزوجين بالزنا** . ولا يقع الطلاق اذا رضى أحد الفريقين بالزنا ..

٢ ـ **اعتداء احد الزوجين على حياة الآخر** .

٣ ـ **هجر احد الزوجين الآخر عن سوء قصد** . ويتحقق سوء القصد :

(أ) اذا حكم على الزوج بالمسكن الشرعى ، ولم ينفذ هذا الحكم مدة سنة كاملة رغم رضوخ الزوجة له .

(ب) اذا هجر الزوج زوجته عاما كاملا ولم يعاشرها .

(جـ) اذا أخل أحد الزوجين بالواجبات الزوجية أو سلك سلوكا شائنا بحيث تتعذر الحياة المشتركة .

ويعتبر استعمال العنف نحو أحد الزوجين اخلالا بالواجبات الزوجية .

٤ ـ **اصابة احد الزوجين بمرض عقلى** واستمرار هذا المرض مدة ثلاثة أعوام ، ووصول المرض لدرجة جعلت الرابطة المعنوية بين الزوجين معدومة مع فقد كل أمل فى الشفاء »[٢] .

*

---

(١) المرجع السابق ص ٢١ ـ ٢٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ ـ ٢٣

● **الطـلاق فى انجلترا :**

« بعد صـــدور هذا القانون (عام ١٨٥٧) يمكن تلخيص أسباب الطلاق فى انجلترا بالرجوع اليه والى اجتهاد المحاكم كما يلى :

١ ـ **زنا الزوجة :** يجوز للزوج أن يستحصل على حكم بالطلاق اذا ارتكبت زوجته فعل الزنا أثناء الزوجية .

٢ ـ حق الزوجة بالطلاق : **يحق للزوجة أن تطلب حل عقـدة الزواج اذا ثبت للمحكمة ان زوجها ارتكب أثناء قيام الزوجية :**

(أ) فعل الزنا مع أحد محارمه .
(ب) زواجه بأخرى .
(جـ) اغتصابه الاناث .
(د) ارتكابه اللواطـة .
(هـ) اقدامه على فعل الزنا جبرا ، وبدونه يجوز طلب الهجر .
(و) ارتكابه الزنا مع الهجر بلا سبب مشروع مدة سنتين فأكثر .
(ز) تمنعه عن تنفيذ حكم القاضى بالمعاشرة الزوجية .
(ح) اقدامه على الزنا بعـد الحكم بوجوب العودة الى المعاشرة الزوجيـة .
(ط) اساءته معاملة زوجته واستحصال الزوجة على حكم بالهجر بسبب ذلك ، واقدام الزوج على الخيانة الزوجية من جديد »[1] .

*

من الواضح ـ اذن ـ أن السماح بالطلاق فى حالة واحدة ، هى الزنا ، حسبما قرره انجيـل متى وحـده دون سـائر الأناجيـل التى حرمته ، قد أوقع المسيحيين فى عنت شـديد ، وسـاقهم سـوقا الى الخروج عليـه ، ودعاهم الى اصـدار تشريعات أخرى تعالج مختلف

---

(١) المرجع السـابق ص ٢٣ ـ ٢٤

الحالات التى تجعل استمرار الحياة الزوجية فرضا مستحيلا ، ومن ثم تسمح بالطلاق فى تلك الحالات المختلفة . ولا تقصره على حالة الزنا .

لقد صار الطلاق شرعة فرضتها ظروف الحياة على المجتمعات المسيحية ، يعمل بموجبها عند الاقتضاء ، تماما مثل فريضة حلف اليمين . فالعالم المسيحى يمارس الحلف على الانجيل كل يوم : بدءا من رؤساء الدول ، وأصحاب المناصب الكبرى ، حتى جميع الشهود فى المحاكم ... الخ . ان هذا اجراء ارتضاه البشر جميعا كاحدى الوسائل الممكنة لتحقيق الاستيثاق ، وتذكير الضمير الانسانى بمسئولياته .

المسيحى يحلف بالانجيل الذى يقول على لسان المسيح : « سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث ، بل أوف للرب أقسامك . **وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا البتة** ـ متى ٥ : ٣٣ ـ ٣٤ » .

أى تناقض أوجع من هذا ..

يحلف المسيحى ، كل يوم ، بالانجيل الذى يقول له : لا تحلف ... ان هذا وحده يكفى للحكم على مدى ملاءمة **بعض ما جاء فى الانجيل من تعاليم** ، خاصا بتنظيم حياة البشر على هذه الأرض ...

* *

وأما تقييد الزواج ومنع تعدد الزوجات ، فقد حدث التمرد خلسة فى القرون الماضية ، واجتاح مختلف الطبقات حتى وصل فى القرون الوسطى الى أعلى الرؤوس فى طبقة الكهنوت .

● **اعترافات :**

يقول الدكتور **لويس عوض** فى كتابه : **ثورة الفكر** « كانت الفضائح فى روما ، مركز البابوية ، تزكم الأنوف . الأصل فى العقيدة الكاثوليكية أن رجال الدين لا يتزوجون ، وأن الرهبان ومنهم الكرادلة والبابوات ، ينذرون لله ثلاثة نذور يوم يدخلون باب الدير : نذر العفة ، ونذر الفقر ، ونذر الطاعة . وها نحن نرى **البابا اسكندر السادس**

(١٤٣١ ــ ١٥٠٣) جهارا نهارا ، له ثلاثة أولاد غير شرعيين هم : سيزار بورجيا درق اوربينو (١٤٧٥ ــ ١٥٠٧) ، ولوكريس بورجيا (١٤٨٠ ــ ١٥١٩) ، ودون كانديا .

وها نحن نرى البابوات يبيعون صكوك الغفران ، وها نحن نرى البابوات يرهبون مخالفيهم بقرارات الحرمان ، وها نحن نرى رجال الدين من رأس الكنيسة الى أصغر كاهن يكنزون المال ويقتنون الضياع .

لقد ساءت سمعة الكنيسة فى عصر سافونا رولا (١٤٥٢ ــ ١٤٩٨)

حتى غدا الناس يتندرون بقولهم عن قسيس : ان سمعته الطيبة تتنافى مع انتسابه للكنيسة . وكان اسم رجال الدين مرادفا للطفيلية والكسل ، وكانت العامة تقلد أصوات أجراس الأديرة قائلة : داندو ! داندو ! ، أى : هات ! هات ! ...

وكانت خلافة البابا اينوتشنتو الثامن (الذى اعتلى الكرسى البابوى من ١٤٨٤ الى ١٤٩٢) فاقعة الفساد ، كولاية خلفه زير النساء البابا اسكندر السادس . فقد اشتهر اينوتشنتو الثامن بأنه كان رجل المحسوبية وخراب الذمة ، **كما أنه كان أول بابا يعترف علنا بأبنائه غير الشرعيين** ، وكان دأبه توسيع أملاك أسرته .

وقد جرت كل هذه الرذائل مجرى التقاليد فى البلاط البابوى ، حتى ان تغير أسماء البابوات لم يعد يعنى شيئا ، فكلهم سواسية فى شهوة السلطان والتملك والاقبال على الملذات »(١) .

* *

ويعطى رولاند بينتون لمحة سريعة عما وصل اليه الحال ، وما اقترح

---

(١) ثورة الفكر : الدكتور لويس عوض ص ١٣٣ ــ ١٣٤ ، ١٤٠ ــ ١٤١ .

لعلاجـه من مسكنات ، فيقول : « يمكن للمرء أن يدرك الى أى حد كان **لوثر** يرفع من شأن الزواج ويجعله فوق العزوبة التى وصمها بأنها تهرب من المسئولية الاجتماعية • ولقد كان دفاعه عن الزواج فى مستهل هجومه على تبتل رجال الاكليروس والرهبان شديدا • وكان السبب فى ذلك أن الممارسات التى قاومها كانت فظيعة • **فلقد كانت ممارسة رجال الاكليروس للتسرى مشاهدة فى كل مكان ، باعتباره شرعا مقبولا ، كما كان يتغاضى عن الشذوذ الجنسى ، دون ادنى مبالاة •**

لقد اجتاحت هذه الرذيلة الكنيسة فى القرون الوسطى ••

وفى صراع لوثر ضد هذا الفساد ، فانه أكد على سماح بولس بالزواج كعلاج فقد كان يقول **ان نبضة الجنس قوية لدرجة أنه لا يقدر على العفة الا القليل** • قد يتجافى بعض الناس عن الشهوة الجنسية ، أما أن يكونوا أعضاء فان هذا يتطلب التحرر من تسلط الجنس ، ولا يقدر على ذلك الا الذين منحوا القوة • **من أجل ذلك ، قد يكون الرجل المتزوج اكثر عفة من الراهب** ، كما أن فرض العصمة على الذين لم يمنحوا نعمة العفة ، **انما هو بمثابه الحكم عليهم بجهنم ، أو بتذوق عذاب المطهر** • فلا يحق للبابا بعد اليوم أن يمنع ذكرا وأنثى من التزاوج الا اذا كان يحق له منع الطعام والشراب • **بل ان الزواج بامراتين قد يسمح به أيضا ، كعلاج لاقتراف الاثم ، أى كبديل عن الانصال الجنسى غير المشروع »(١) •**

* *

رأينا ما أدت اليه تشريعات كبت الجنس وتجاهله ، وكيف أسفر الواقع عن تمرد قوى على تلك التشريعات ، بل وممارسة الشذوذ الجنسى بين طبقة الكهنوت ، الذين يفترض فيهم أن يكونوا مثالا يحتذى • وفى مواجهة للواقع ، بدأ التفكير جديا فى الدعوة الى الزواج

---

(١) R. Bainton : Sex , Love and Marriage, pp. 83 - 85

بدلا من تلك الدعاوى البالية التى كانت تنفر منه ، بل وأكثر من ذلك رؤى فى اباحة زواج الرجل بامرأتين حلا مشروعا ، كعلاج لمنع السقوط فى الزنا • ويعنى هذا بداهة الاعتراف بنظام تعدد الزوجات كصمام أمان ، يستخدم عند اللزوم للحفاظ على بنية المجتمع سليمة ومتماسكة ، فتكون العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة فى النور ، تحت السمع والبصر ، بدلا من تلك العلاقات السرية الآثمة التى تختلط فيها الأنساب ، وتضيع بسببها الحقوق والكرامات •

* *

● **دعوات للاصلاح :**

حين نلقى نظرة على أنماط التفكير الاصلاحى لعلاج المشاكل التى تعانى منها المجتمعات المسيحية بسبب تحريم الطلاق وتعدد الزوجات ، نجدها تشير جميعا ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، الى أن الحل يكمن نظام تعدد الزوجات • ونكتفى هنا بعرض مثالين من هذا التفكير •

*

المثال الأول ـ السماح للرجل بتعدد النساء ، تكون الأولى هى الزوجة والأخريات سرارى :

منذ نحو مائة عام ، كتب عالم اللغات القديمة **دى بفلى** فى كتابه : **الأحكام العبرية** ، دراسة مقارنة عن تشريعات الزواج والطلاق فى اليهودية والمسيحية والاسلام ، وما عليه الحال من أعراف وتقاليد تحكم هذه الأمور فى بعض شعوب الأرض وقبائلها •

وقد تحدث عن نظام الزوجة الواحدة ، وشريعة تعدد الزوجات ، وقارن بينهما مستخدما تعبير البلاد المتمدنة ، ويقصد به البلاد التى يسكنها العنصر الأوربى فقط ، كما استخدم تعبير : **البلاد غير المتمدنة** ، ليعنى بقية بلاد العالم ! وكان مما كتبه : « **أما فى البلاد المتمدنة** ، المحرم فيها تعدد الزوجات ، **فان الأسباب الداعية الى تعدد الزوجات موجودة** ولكن طرق الحصول على قضاء الشهوة عند

الضرورة الداعيـــة اليهـــا ، تختلف عن طرق البـــلاد غير المتمـــدنة فى الاسم والصفة . فيتخذ بعض الرجال الأخدان سرا وعلانية اذ يقضون شهوتهم مع المومســـات والعاهرات . وهما طريقتـــان مفضـــلتان عن تعدد الزوجات عند الناس (!) ، الا أن فيهمـــا الضرر على النســـاء والأولاد ، فلا يستحسنان من هذه الوجهة .

ان تعدد الزوجات مباح فى أغلب بلاد المعمـــورة ما عدا أوروبا ، ولكن لا نظن ان تحريمه فى أوروبا قديم جدا ، فقد كان مباحا حتى عهد النصرانية . وأعظم دليـــل عليـــه ، زواج الملك شـــارلمـــان بأكثر من واحدة . وما كان يفعله القسس مدة انتشار تعدد الزوجات فى أوروبا ، انهم كانوا يأمرون الناس المتزوجين بأكثر من واحدة ، أن يختاروا لهم من بينهن واحدة يطلق عليها اسم زوجة ، وعلى غيرها اسم خدن .

ونحن وان كنـــا نسلم بأن أحسن زواج يشرع هو الزواج بامرأة واحـــدة ، وأن أحســـن نظام عائلى لا يتـــأتى الا اذا اقتصر الزوج على زوجة واحدة ، ولكنا لا نرى فى تعدد الزوجات ما رآه فيه غيرنا من الفظاعة والمغايرة للطبيعة ، وما يصفه بعض بسطاء العقول ، بل نحن على خلافهم نجد فيـــه كثيرا من الفوائد الحسية والمعنوية ، ونراه أقرب الى الطبيعة البشرية خصوصا طبيعة الرجال ..

وأقل ما فى تعدد الزوجات من الفوائد الحسية تحسين النســـل . وأما كون النسل يتحسن بهذه الواسطة فظاهر مشاهد فى الحيوانات جميعا ، لأن الناس يختارون القوى من الذكور للتلقيح ، ولا يختارون الضعيف ردىء البذرة .

وان أحسن شكل لاباحة تعدد الزوجات هو قصر الزوجيـــة على امرأة واحدة تكون الزوجة الحقيقية للرجل ، مع اباحة اتخاذ الأخـــدان

والسرارى ، فبذلك تجتمع مزايا التزوج بامرأة واحدة ، ومزايا تعـــدد الزوجـات .

لقد قلنا ان أحسن شكل ، وأكمل نظام للزواج هو اقتصار الرجل على نكاح امرأة واحدة ، الا أن الجارى فى العالم يخالف هذه الســنة الشريفة . فلا تجد بلدا يخلو من زيجات مغايرة لأحكام هذا الزواج حتى المحرم فيها تعدد الزوجات تحريما قطعيا (مثل المجتمعات المسيحية) ، وذلك لأسباب جمة تضطر الرجل أو المرأة الى مخـالفة شرع الزواج وحدوده ، منها : ميل الذكر بفطرته الى تعدد الزوجات ، ومنها : موانع بدنية تطرأ على المرأة فتحرم الرجل من الاجتماع بها وتمنعه عنها مددا بعضها قصيرة ، وبعضها طويلة كالحيض والنفاس واشتغالها بالرضاع . ومنها : غياب الرجال فى الخدمة العسكرية واضطرارهم الى ترك نسائهم أثناءها لصعوبة الجمع بين معيشة الزوجية والخدمة العسكرية ..

كل هذه الأسباب كانت نتيجتها اختـلال ســنة الزواج الصحيح الكامل ، وتنويع صور اجتماع الرجل بالمرأة ..

ان الاقتصار على زوجة واحدة لم يأت بالغرض المقصـود منه حيث لم يمح أنواع الزيجات الأخرى . وغاية ما فى الأمر أن النـاس ينظرون الى تلك الأنواع بعين غير العين التى ينظرون بها الى الزواج ، وأن النساء المتخذات للاستفراش بهذه الأنواع صرن مغبونات بشريعـة النكاح ، لأن مضار التسرى واتخاذ الخدن والاســتفراش غير المشروع عائدة عليهن وحدهن ، كما أن عقاب الزنا والسفاح لا يصيب فى الغالب غير النســاء ..

ولقد نسخ هذا التسرى الرومانى بحكم النصرانية ، ولكن الاوربيين لا يزالون يتخذون الأخدان ولم يتبعوا شرعهم الدينى فى تحريم تعـــدد الزوجات .. ولا يعاقبون على التسرى واتخاذ الأخدان ، ويغضون الطرف عنه ولو انه غير جائز شرعا »(١) .

❋

(١) المقابلات والمناظرات ص ٣٣٨ ـ ٣٥١

المثال الثانى ـ اعادة النظر فى موقف المسيحية من تعدد الزوجات :

ألقى **هـوارد روت** محاضرة فى **كليـة اللاهوت بكامبردج**، عام ١٩٦٢ ، كان موضوعها : **مشاكل الجنس الأخلاقيـة** وكان مما جاء فيها : « يجادل الناس فى مسائل الجنس على المكشوف ، ويقتربون منها بوجهات نظر متضاربة . ونجد فى الأمور الجنسية أن التأصيل الأخلاقى الجامد هو عدو للفهم الأخلاقى . انها **لحقيقة محزنة وغير قابلة للانكار ، ان الكنيسـة غالبا ما فشلت فى ادراك ذلك ، وقـد خدعت بصـيرتها الاخلاقية بغية التمتع باحترام مظهرى . واحيانا ما كانت تعالج المشاكل الجنسية كما لو كان حسمها يتم بالقواعد المكتوبة .**

ان هذه عبارات جافة وصريحة ؛ ولن نربح سـوى القليـل اذا فكرنا بعمق فى الأسباب التى أوصلتنا الى حالتنا الحاضرة ، على الرغم من أن فهم تلك الاسباب قد يعمق بصيرتنا بحق ..

لقد استمسكت المسيحية منذ نشأتها الأولى ، بأن التحقيق المثالى لمطالب طبيعتنا الجنسية ، يكمن فى نظام الزواج بامرأة واحدة . وكثيرا ما افترض ان المبدأ الرئيسى فى المسيحية ـ هو بكل بساطة ، جعل كل ممارسـة جنسية خارج الزواج بامرأة واحدة تعتبر خطأ ، وكل ممارسة جنسـية فى نطـاق ذلك الزواج تعتبر صحيحة . ان الأمور لا تسـير هكذا ..

فعندما نتحدث عن مثالية الزواج بامرأة واحدة ، ونوحى بأن ذلك هو الوضع الذى يتم فيـه اشـباع مطالب طبيعتنا الجنسـية بطريقة كاملة وصحيحة ـ فاننـا نكون فقط قد بدأنا وصف مشـاكل الجنس الأخلاقيـة ..

وهناك اعتبار آخر ، يجب أن يؤخذ فى الحسبان على الرغم من أننا نستطيع الاقتراب منـه فقط بالتأمل الحذر . ان الانسان فى العالم الذى نعرفه : حيث البلاد المسـيحية بخلفيتها الاغريقيـة واليهـودية ،

لا يستطيع تجاهل مثالية الزواج بامرأة واحدة .. **لكنى لا أرى سببا يدعو المسيحيين** ، أو غيرهم ، **الى التطرف فى التأكيد على أن هذا النظام المثالى هو نوع من المطلق الأبدى** ، مثل طبيعة الله ، **ونجد** ، فى **واقع الأمر** ، **شواهد فى العهد الجديد تحذرنا من هذا الافتراض** .

لقد جاء أعداء المسيح ليجربوه حول هذا الموضوع ، فقال لهم : فى الملكوت لا يزوجون ولا يتزوجون . انى لا أدعى فهم ما يتضمنه هذا القول ، لكنه يوحى ، على الأقل ، بان الزواج قد شرع للبشر (فى هذه الدنيا) وفقا لاحتياجاتهم وقدراتهم ، فى أزمنة وأماكن معينة .

وقد قال المسيح أيضا ، فى موضع آخر ، ان شريعة موسى فيما يتعلق بالطلاق قد أعطيت لهم بسبب قساوة قلوب الرجال . وهنا أرجو ألا يساء فهمى عندما أقول ، بوجه خاص ، ان مثالية الزواج قد أعطيت لنا بسبب قساوة قلوبنا ، أى بسبب حاجتنا الى النظام والتوجيه اللذان يوفرهما لنا . وبصرف النظر عن كلمات المسيح هذه ، نجد أن القديس بولس اعتبر الزواج ، لأسباب مختلفة ، خيرا لا شك فيه ، اذ : التزوج أصلح من التحرق . أما اعتباره البتولة أفضل من الزواج فهذا واضح لا جدال فيه .

ان هذين الايحاءين اللذين نجدهما فى العهد الجديد كافيان لجعلنا نتانى قبل أن نعلن أن التزوج بامرأة واحدة هو المثالى الوحيد الممكن ، وفيه الحل لمشاكل الجنس الأخلاقية .

لقد كان هناك كثير من البحوث المخلصة ، فى السنوات الأخيرة ، عن المطالب الاجتماعية التى يجب أن تفرضها الديانة المسيحية ، مثلا ، على مجتمع يمارس تعدد الزوجات . هل هو مستحيل على رجل متعدد الزوجات أن يصير مسيحيا ؟ وهل الدين المسيحى يستلزم أن يطلق الرجال زوجاتهم المعولات ، ومن ثم يحكمون عليهن عمليا بالفقر والعوز ؟ **وهل نظام تعدد الزوجات ، يعتبر فى كل الأحوال ، استخداما سيئا للجنس ؟**

ليس من السهل الاجابة على هذه الأسئلة ، الا ان الحاحها علينا واهميتها الواقعية ، تجعل انه من الأمور الجوهرية بالنسبة لنا أن نبقى مفتوحى الفكر ، وان نتذكر ان الزواج ، مثل السبت ، قد جعل للانسان ، ولم يجعل الانسان للسبت(١) .

ومن ناحيـة أخرى ، نجـد أنه من الأهميـة بمكان أن نلاحظ التغيرات التى حدثت فى الجماعة الدينية العظيمة ، حيث تعدد الزوجات أمر عادى : أقصد بذلك الاسلام .

أعتقد انه من الحق أن نقول ان ممارسة التزوج بامرأة واحـدة أخذ فى الازدياد ، وأن بعض المفكرين المسلمين يشـجعون على ذلك بالاشـارة الى ما جـاء فى تعاليم محمد **فبينما يسمح القرآن بتعـدد الزوجات ، مثلما يفعل العهد القديم ، فان النبى قال ان على الرجـل الا يتزوج بأكثر ممن يسـتطيع أن يسـوى بينهن فى المعـاملة والاعزاز .** وبما أن القليل من الرجال هم الذين يستطيعون معاملة أكثر من زوجة واحدة بنفس مشاعر الحب ، فقد كان النبى فى الحقيقة ، لا يشـجع على تعدد الزوجات . ان هذا هو السبيل الذى تحركت فيه البصـيرة الأخلاقية لأحد الأديان من جيل لآخر ..

ان كل شىء فى ميراثنا الثقافى ، والذى تتحمل المسيحية مسئوليته الى حد بعيد ، يجعل من الصعب علينا أن نكون موضوعيين وصادقين فى

---

(١) عاب اليهود على المسيح فعل تلاميذه حين لم يحفظوا الراحة يوم السبت . اذ « ابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون . فقال له الفريسـيون : انظر . لمـاذا يفعلون فى السبت ما لا يحل ؟ فقال لهم : اما قرأتم قط ما فعله داود حين احتـاج وجـاع هو والذين معه . كيف دخـل بيت الله .. وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله الا للكهنـة ، واعطى الذين كانوا معه أيضا : ثم قال لهم : **السبت انما جعل لأجـل الانسـان ، لا الانسان لأجل السبت ــ مرقس** ٢ : ٢٣ ــ ٢٧ » .

مناقشتنا لهذه المشاكل . فالمسيحيون غالبا ما يتسرعون فى الاعتقاد بأن أى اقتراب من الجنس يشكك فى التعاليم المسيحية التقليدية ، لا بد وأن يكون خاطئا ، ومن ثم فلا حاجة للبحث فيه بمثل تلك العناية والاهتمام اللتان تحظى بهما على الفور مسائل جدلية ، مثلا ، تتعلق بالعقيدة »(١) .

*

أما بعد ...

لقد كانت تلك صيحة ضاع صداها سريعا فى أعقاب صوت ذلك الانفجار الرهيب الذى عرف فى الغرب ، آنذاك ، باسم الثورة الجنسية .

* *

(١) H. Root : GOD , SEX & WAR, pp. 33 - 55.

obeikandl.com

ثانيا — التعاليم الأخلاقية فى الأناجيـــل

فى دراسة مقارنة عن هذا الموضوع الذى يعتبر ثانى الموضوعات أهمية بعد العقيدة فى أى دين من الأديان ، يقول : ج. ويلز(١) — بجامعة لندن — فى كتـــابه : « يسوع المسيحيين الأوائل » ، ما نقتبس بعضا منه ، واضعين اياه بين علامات الاقتباس .

« لقد جرى التوكيد أحيانا على أنه مهما كان ضعف الدليـــل على معجزات يسوع ، فانه يقف شـــامخا باعتباره معلما أخلاقيا ملهما ، ونابغة فى مجال الســـلوك الأخلاقى ، مما يؤكد كونه شخصية تاريخية .

وفى واقع الأمر ، ان جميع التعاليم الأخلاقية المقبولة فى الأناجيـــل يمكن اكتشافها فيما سجله الكتبة الوثنيون السالفون ، كما سلم بذلك الأسقف ثرول وول(٢) . ويقتبس فارير(٣) تعليم عدم الأنانية من سنيكا ، والحب الأخوى لكل الجنس البشرى من كل من **سنيكا وشيشرون** والمحبة من هذين الاثنين وغيرهما ، والعفو ، والتسامح والرفق من كتاب وثنيين كثيرين .

وما كان يعتبره المصرى القديم واجبا عليه تجاه جاره ، نجده فى قائمة من الأمور المرعية تعرف باسم : (الاعتراف السلبى) وقد اقتبسه بدج من بردية من القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

ويعتقد أن تلك القائمة كانت ترتلها كل نفس رحلت الى العـــالم الأخر ، عند محاسبتها » . ومن أمثلة ما تحتويه تلك القائمة :

« ١ — لم ارتكب اثما ... ٤ — لم أسرق .

---

(١) G. Wells : The Jesus of The Early Christians PP. 55 - 72.

(٢) Trirlwall, Bishop C. (historian of Greece) : Letters, leterary and theological, London, 1881 - PP. 37 - 38.

(٣) Farrer, J. A. : Paganism and Christianty. London, 1891, Chapter IX.

٥ ــ لم أقتل رجلا أو امرأة . ٦ ــ لم أخسر المكيال .
٧ ــ لم أمكر بأحد ...
١١ ــ لم أتفوه بكلام رديء ...
١٤ ــ لم يشتعل قلبى غيظا ...
١٩ ــ لم أغتب أى انسان ..
٢١ ــ لم أرتكب زنا أو لواطا . ٢٢ ــ لم أدنس نفسى .
٢٣ ــ لم أضطجع مع زوجة انسان .
٢٤ ــ لم أجعل أى انسان فى خوف ...
٢٦ ــ لم أجعل نفسى أصم عند سماع كلمات الحق والعدل .
٢٧ ــ لم أجعل أى شخص آخر يبكى .
٢٨ ــ لم أتفوه بسباب أو تجديف (ضد المقدسات) ...
٣٥ ــ لم ألوث المـاء الجارى .
٣٦ ــ لم أكن متفاخرا فى كلامى ...
٣٨ ــ لم أتصرف بغطرسة . ٣٩ ــ لم أعرف المحاباة .
٤٠ ــ لم أزد فى ثروتى الا بالوسائل المشروعة ... » .

هذا ــ ويستطرد **ويلز** قائلا :

« يعزو المفسرون المسيحيون الى يسوع تعاليم اخلاقية غير موجودة فى الأناجيل وعندما نقرأ الأناجيل بقصد اكتشاف معيار الصـلاح الذى يدافعون عنه ، نجدها تحتوى على تعاليم أخلاقية اقل عموما مما هو مفترض » .

*

● **من انجيل مرقس :**

« فى واقع الأمر ، لا نجد شيئا فى انجيـل مرقس ، انه يسـجل معجزة تلو الأخرى ليقنعنا أن يسوع كان هو المسيا ، لكنه غير مهتم

بما كان يعظ به • وهو يكرر التلميح الى تعاليم (الانجيل) و (يسوع) دون أن يخبرنا بمكوناتها (١ : ١٥ ، ٢١ ، ٣٩ ، ٣ : ١٤) ••• الخ •

ويخلو هذا الانجيل من موعظة الجبل • كما أن التعاليم التى فى الاصحاح الرابع ليست أخلاقية ، لكنها تتكون من أمثال ملكوت الله •

وتأتى أول اشارة عن تعليم أخلاقى فى الاصحاح السابع حيث يدين يسوع : (الفسق والسرقة والقتل والزنا والطمع والخبث والمكر والعهر والعين الشريرة والتجديف والكبر والجهل) •

وقد دعا فى الاصحاح الثامن الى انكار النفس ، كما ينصحنا فى الاصحاح التاسع بقطع أيدينا وأرجلنا وقلع أعيننا اذا كانت هذه الأعضاء ستعثرنا ، لأنه خير (أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار) وفى الاصحاح التالى (العاشر) يحرم يسوع الطلاق ، ويعيد اختصار الوصايا المعتادة : (لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك) •

ويقتبس الاصحاح الثانى عشر وصايا العهد القديم : (تحب الرب الهك ••• تحب قريبك كنفسك) • ويضيف يسوع الى هذه من عنده (ما جاء فى الاصحاح العاشر) : (اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء) » •

● **من انجيل لوقا :**

« يسجل لوقا أحاديث أكثر (ليسوع) ، ولكن يصعب فى الغالب اكتشاف أى مبدأ أخلاقى فيها • فمثلا يبدأ يسوع ــ فى الاصحاح السادس ــ موعظة الجبل بتطويب المساكين والجياع والباكين والمكروهين ، ثم هو يلعن الأغنياء والشباعى والضاحكين وأصحاب الشهرة • ولا يدرك أى مبدأ أخلاقى حتى العدد ٢٧ : (أحبوا أعداءكم •• لا تدينوا) •

وهو يستمر فى التشديد على التبادلية (المعاملة بالمثل) والرحمة وأخيرا فانه يمدح الايمان (٧ : ٥٠) ، ويشهد على انكار النفس ، بل انه يحض تلاميذه على الاستشهاد (٩ : ٢٣ ــ ٢٤) .

كما يخبرهم بأن (الاصغر فيكم جميعا هو يكون عظيما) (٩ : ٤٨) وعندما يقولون انهم وجدوا انسانا يخرج الشياطين باسمه ومنعوه لأنه (ليس يتبع معنا) ، يأمرهم يسوع ألا يمنعوه **(لأن من ليس علينا فهو معنا) وبالمناسبة ، فان هذا نقيض لما فى انجيل متى ١٢ : ٣٠ حيث يعطى يسوع تعليما مخالفا : (من ليس معى فهو على ، ومن لا يجمع معى فهو يفرق)** .

بعد ذلك يبدأ رحلته الى أورشليم . ويستقبل بجفاء فى قرية للسامريين ويسأله تلميذاه الساخطان (يعقوب ويوحنا) : (أتريد أن تقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم ؟ ــ لكن يسوع ــ التفت ونهرهما) .

وحسب **(الترجمة المعتمدة)** (الملك جيمس) نجده قد أردف قائلا : **(لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص) . ونظرا لأن هذه الكلمات غير موجودة فى المخطوطات الأربع الأقدم ، فقد شطبتها (الترجمة المراجعة) .**

ان هذا يبين لنا الطريقة التى كانت توضع بها مختلف أساليب التعبير على لسان يسوع ليتفوه بها خلال تاريخ انشاء الوثائق (المسيحية) » .

● **من انجيل متى :**

« اذا صرفنا النظر عن التناقضات ، واتقينا ببساطة تلك التعاليم ذات الصبغة الأخلاقية الواضحة ، فاننا نستطيع تصنيفها كالآتى :

من الاصحاح الخامس :

١ ــ كن وديعا ومتواضعا •

٢ ــ كن رحيما • ٣ ــ كن نقيـا •

٤ ــ أطلع الشريعة اليهودية • ٥ ــ تجنب الغضب •

٦ ــ كن غافرا ومسترضيا •

٧ ــ تجنب التفكير فى الزنا •

٨ ــ لا تطلق زوجتك الا لعلة الزنا •

٩ ــ لا تحلف • ١٠ ــ لا تقاوم الشر •

١١ ــ كن محسـنا • ١٢ ــ أحب عدوك •

ومن الاصحاح السـادس :

١٣ ــ لا تكن متفاخرا فى عمل الخير •

ومن الاصحاح السابع :

١٤ ــ لا تدين • ١٥ ــ لا تعط القدس للكلاب •

١٦ ــ افعل بالآخرين ما تريد أن يفعلوه بك •

١٧ ــ لا تقل كلاما تافها •

ومن الاصحاح التاسع عشر :

١٨ ــ كن مستعدا لترك كل شىء وكل شخص من أجل يسوع » •

*

وفى استعراض لهذا القانون الأخلاقى ، يقول ويلز :

« ان رقم ٩ يبدو أنه يريد أن يقول : (قل الصـدق دائما) •• واذا أغفلنا مؤقتا أرقام ٤ ، ٨ ، ١٥ ، ١٨ فاننا نستطيع استخلاص مبادىء يسـوع الأخلاقية فى التشديد على : التواضع ، والرحمة ، والنقاء ، وتجنب الغضب ، والمغفرة ، والصدق ، وعدم مقاومة الشر ، والاحسان

والتبـــادلية (المعاملة بالمثـــل) • ان التركيز هنا على الوداعة ، وهى الفضيلة الملحوظة بين الشـــعوب المقهورة فى الامبراطورية الرومانيـــة ـ الذين جاء منهم المسيحيون الاوائل ـ حيث كان ضغط الفقر هائلا لدرجة أن الحيـــاة لم تكد تستحق العيش » .

*

● من انجيل يوحنـــا :

« يوجد اختلاف صارخ بين تعاليم الأناجيـــل المتشـــابهة (متى ومرقس ولوقا) وتلك التى فى انجيل يوحنا • فالأولى تهتم أساسا بكيفية دخـــول ملكوت الله ، أما فى يوحنـــا فان الموضـــوع الرئيسى هـــو يسوع نفســـه ، شخصه ومجده • فقد أخبرنا مثلا أنه : (قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن) ، (أنا هو القيامة والحياة) •

ففى هذا الانجيل يعطى يسوع ما أسماه شميدل تكرارا مستمرا لقضايا غيبية تتعلق بشخصه ، ولا توجد به أمثال على الاطلاق ، وقد جاء ذكر ملكوت السموات مرتين •

اقد اعتقد شـــميدل ـ وقد لقيت وجهة نظرة قبولا واســـعا ـ أن الخلافات بين التعبيرات الصوفية فى الانجيل الرابع وبين الخطب والأحاديث فى الأناجيل المتشابهة عظيمة لدرجة أنها لا يمكن أن تكون قد صـــدرت عن شخص واحد » .

* *

● كيف راعى المسيح قانونه الأخلاقى :

ويقول ويلز : « ان ما يصدمنا هو أن الأناجيل تظهر لنا يسوع نفسه غير قادر على تنفيذ أغلب تلك القواعد الأخلاقية الثمانية عشر ..

ان ســـلوكه ازاء القاعـــدتين ٤ ، ٥ يصـــيبنا بصـــدمة كبيرة . اذا كان تجنب الغضب ضروريا جدا ، فلماذا « نظر حوله اليهم بغضب ـ

مرقس ٣ : ٥ » ؟ ! وبالنسبة لرقم ١ ، فالبرغم من أنه يقول فى فقرة واحدة انه وديع ومتواضع القؤاد . فانه يصرح فى الاصحاح التالى مباشرة بأنه « أعظم من سليمان ــ متى ١١ : ٢٩ ، ١٢ : ٤٢ » .

وهو يخبر تلاميذه آن يذهبوا الى مدن اسرائيل ليعلنوا أن ملكوت السموات وشيك ، وأن أى مدينة لا تؤمن بهم ، فحسب قوله ، سيكون عقابها مرعبا يوم الدينونة . وسيكون حظها أشد سوءا من تلك المدن سيئة السمعة (متى ١٠ : ٥ ــ ١٥) ان عدم الايمان بدعاواه النبوية صار جريمة لا تغتفر . وكذلك نجد فى مرقس ١٦ : ١٦ أن يسوع الذى أقيم من الأموات يعلن أن كل من اعتمد وقبل تعاليمه يخلص ، بينما (من لم يؤمن يدن) . **ان مثل هذه المواقف يصعب وصفها بالتسامح .**

كذلك ، نجد أن يسوع ، بينما هو يحرم الذم من ناحية (من قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم ــ متى ٥ : ٢٢) اذا به ينغمس فيه من ناحية أخرى (أيها الجهال والعميان ــ متى ٢٣ : ١٧) ، (يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك ــ لوقا ١٢ : ٢٠) .

ان كل انسان يعلم أنه علمنا أن نحب جيراننا ، بل وحتى أعداءنا (رقم ١٢) ، ومع ذلك فانه يحقر الكتبة والفريسيين ، داعيا اياهم : مرائين وحيات وأفاعى (متى ٢٣ : ٢٩ ، ٣٣) .

وبجانب اخفاق يسوع فى الحفاظ على المعيار الأخلاقى فانه لا يؤيد دائما أى معيار متسق .

فبالرغم من أن علينا أن نحب أعداءنا ، فقد أخبر التلاميذ : (ان أخطأ اليك أخوك .. ولم يسمع لك .. فليكن عندك كالوثنى والعشار ــ متى ١٨ : ١٧) . **فمن الواضح ان هناك صنفين لا يحبان (هما : الوثنيون والعشارون) ..**

وان تعليم يسوع فيما يختص بمن يكون له الخلاص ، لمليئة بالتناقضات . ففى متى ١١ : ٢٨ يصور لنا كمن يقول للشعب (تعالوا الى يا جميع المتعبين .. وأنا أريحكم) .

ولكن فى مرقس ٤ : ١٢ يقول انه يتعمد أن يكون غامضا للشعب لكى لا يفهموه ، وبالتالى لا تكون لهم فرصة للتوبة والخلاص . فهو يقول لتلاميذه : (قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله . وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شىء . لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا ، لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم) .

ماذا نقول فى اله يتعمد أن يكون غامضا لكى لا يخلص اولئك الذين يسمعوه ؟! ..

كذلك يوجد عدد من الفقرات التى تعد بالخلاص ليس لقلة مختارة من أفراد الطائفة الجديدة لكن أيضا لأولئك الذين يقيمون الشريعة اليهودية . ويتوافق مع هذا ما يعلن أحيانا من ان الناموس يعتبر مطلقا وخالدا . وهكذا نجد يسوع يقول فى لوقا ١٦ : ١٦ ــ ١٧ ان : (زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس) ..

ويقول يسوع فى متى ٥ : ٧ : (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ؛ ما جئت لأنقض بل لأكمل . فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) .

ان تعبير **(الناموس والأنبياء)** يدل على المكون الدينى الكلى للعهد القديم ؛ لأن (الناموس) كان الاسم اليهودى الشائع لأسفاره الخمسة الأولى ، و (الأنبياء) تعنى الأسفار من يشوع الى الملوك الثانى ؛ ومن أشعيا الى ملاخى .

وهكذا ، فان يسوع يقول ان أقل الوصايا أهمية ، وأصغر حرف من الناموس متماثلان فى كونهما خالدين ..

ولكن يسوع ، بعد هذا التسليم الجلى بسلطان الناموس ، فانه يقدم على ادخال تغييرات كبيرة عليه .

ان ناموس موسى يسمح بالطلاق ، لكن يسوع يحرمه الا لعلة الزنا . ويسمح الناموس بالحلف لكنه يحرمه ..

ان واحدة من اكثر التناقضات حدة فى الوثائق (المسيحية) هو ما نجده بين الفقرات التى تدخر الخلاص لليهود ، وتلك التى تستبعدهم منه لصالح السامريين والأمميين .

فنجد متى ، فى بضع فقرات ، يتبنى وجهة نظر ضد اليهود ، فهو يقول مثلا فى ٨ : ١٠ ــ ١٢ ان كثيرين ، وليس اليهود ، سيكون لهم الخلاص . وان ملكوت الله سينزع منهم ويعطى لأمة اخرى (٢١ : ٤٣) ..

وفى واقع الأمر . فان متى يجعل يسوع يتبنى عادة وجهة نظر تقتصر على الانحياز لليهود . فهو يبرر رفضه أول مرة شفاء ابنة المرأة الكنعانية ــ كما فى ١٥ : ٢٤ ــ بقوله : (لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة) . وعندما يرسل تلاميذه الاثنى عشر لتحذير الشعب من أن ملكوت السموات قريب فانه يعطيهم تعليمات بألا يبلغوا بشارتهم الى الأمميين أو السامريين ، ولكن فقط لليهود (١٠ : ٥) .

ان هذه التعليمات المنحازة لليهود قد حذفها كل من مرقس ولوقا . وبينما يتعهد متى بأن يكون لليهود فرصة أخرى للتوبة ، وأما السامريين فلا ، فان لوقا يجعل يسوع يقول مثل السامرى الطيب ، حيث يوضع السامريون فى أفضل صورة ، واليهود فى أدنى صورة . ان هذا المثل قد ضرب من أجل غرض واضح وهو بيان :

(من هو قريبى) ؛ ومن ثم نعلم من المقصـــود عندما نؤمر بمحبة جارنا كمحبتنا لأنفســـنا (١٠ : ٢٧ ــ ٢٩) .

اذا كانت الوصية المعادية للسامريين هى ما تفوه به يسوع ، فان المثال المدافع عن السامريين ليس من قوله . واذا كان أحد هذه الأقوال قد وضـــع زيفا على لســـان يسوع ، فعندئذ قد تأكد بوضوح كيف يمكن أن يحدث أى شيء بمنتهى السهولة » .

* *

ونضيف الآن الى التعاليم الأخلاقية التى نسبها كتبة الأناجيل الى المسيح ، ثم اظهروه للناس وقد تحلل منها لصعوبتها ، ما هو شائع بين الناس مثل قوله : « من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضا ــ متى ٥ : ٣٩ » .

ففى رواية يوحنـــا عن استجواب ذلك الذى قبضوا عليه أمام رئيس الكهنة يقول : « ســـأل رئيس الكهنة يســـوع عن تلاميذه وعن تعليمه أجابه يســـوع : أنا كلمت العـــالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما . وفى الخفاء لم أتكلم بشيء . لمـــاذا تســـألنى أنا ؟ اســـأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم . هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا .

ولمـــا قال هـــذا **لطم يسوع** واحد من الخدام كان واقفا قائلا : أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟!

اجابه يسوع : ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى وان حسنا فلماذا تضربنى ؟! ــ يوحنا ١٨ : ١٩ ــ ٢٣ » .

لقد احتج يسوع الأناجيل على ضربه على خده ، ولم يدر الخد الآخر لتلقى مزيد من اللطمات .

وهكذا تتهاوى القصور الأخلاقية التى بنيت فى الهواء . فالدعوة الى

محبة الأعداء قد نقضها موقفه من الكتبة والفريسيين ، بل ومن العشارين والوثنيين .

وتقبل المزيد من اللطمات قد انهار أمام لطمة واحدة . وهكذا فعل كتبة الاناجيل بالمسيح وتعاليمه الشيء الكثير ..

**

● **تعاليم المسيح الأخلاقية وتعاليم السابقين :**

يقول ويلز : « ان التعاليم الأخلاقية للمسيح التى ذكرها متى فى موعظة الجبل (٥ : ١) قد جعلها لوقا مختصرة فى موعظة سهل (٦ : ١٧) . وهما وان كانت تعبيراتهما تتماثل أحيانا فانها تختلف فى أحيان أخرى .

فحسب رواية لوقا يقول المسيح : (طوباكم أيها المساكين .. طوباكم أيها الجياع الآن — ٦ : ٢٠ — ٢١) بينما يقول المسيح فى رواية متى : (طوبى للمساكين **بالروح** .. طوبى للجياع والعطاش **الى البر** — ٥ : ٣ — ٦) .

كذلك يقول لوقا : « ويل لكم أيها الأغنياء ، لأنكم قد نلتم عزاءكم — ٥ : ٢٤) وهذه غير موجودة فى رواية متى .

وعلى كل حال فان كل فقرات هذه التعاليم قد وجدت لها نظائر فى الآداب اليهودية ، المتقدمة والمتأخرة ومستقلة تماما عن أى تقاليد مسيحية (انظر المتماثلات التى استخرجها روبرتسون) (١) ، وان الكتابات التى تنتظم مثل هذه الحكم الأخلاقية لأغراض الوعظ والتعليم ، كانت موجودة فى الطائفة اليهودية قبل نشأة المسيحية

(١) J. Robertson : Christianity and Mythology, pp. 404 ff.

مباشرة • ويمكن تبيان هاتين النقطتين من : **(كتاب أسرار أخنوخ) .. وهو كتاب غير مسيحى ، وأقدم من أى انجيل من الأناجيل ..**

ان بعض فقراته متماثلة بشكل مدهش لأجزاء من موعظة الجبل ، فهناك مثلا : **طوبى لمن يقيم السلام)** (كتاب أخنوخ ٥٢ : ٢ ، انجيل متى ٥ : ٩) •

وكذلك : **« سوف لا أحلف .. لا بالسماء ولا بالأرض ولا بأى مخلوق آخر مما صنعه الله .. اذا لم يكن فى الناس صدق ، دعهم يحلفون بكلمة : نعم ، نعم أو لا ، لا»** (أخنوخ ٤٩ : ١ ، متى ٥ : ٣٤ ــ ٣٧) •

ونجد فى الاصحاح الثانى والأربعين (من كتاب أخنوخ) التطويبات الآتية التى تشبه ما فى الانجيل من حيث أن عددها تسعة ، وأن أغلبها توليفة من المزامير والأنبياء وآداب يهودية أخرى :

طوبى لمن يخشى اسم الرب ، ويخدم دائما أمام وجهه ويقدم عطاياه بخوف وباستمرار فى حياته ، ويعيش كل حياته بارا ثم يموت •

طوبى لمن يحكم بالعدل ، لا من أجل مكافأة بل من اجل البر ، غير منتظر أى شىء فى المقابل ..

طوبى لمن فيه الصدق ..

طوبى لمن تسرى المحبة على شفتيه ، ويمتلىء قلبه بالشفقة .

ان كل هذه الأدلة تبين أن الأسلوب الوعظى لموعظة الجبل لم يكن فقط مما قبل المسيحية ، بل ان نظم الحكم الأخلاقية معا ، والمنتخبة من التقاليد اليهودية السابقة ، لم يكن مجهولا بأية حال من الأحوال عند بداية العصر المسيحى »[1] •

* * *

(1) G . Wells. The Jesus of The Early Christians, pp. 69 - 71.

تعـدد الزوجات فى الاســـلام

عرف تعدد الزوجات قبل الاسلام ، سواء فى البيئة العربية أو فى غيرها من البيئات والمجتمعات .

وعرف فى الديانات السابقة ، فقد عرف فى شريعة موسى ، ومارسه الآباء والأنبياء الســابقون .

وعرف فى صــدر المسيحية ، ثم مورس عمليا ، سرا أو جهرا عبر القرون ، فكان لبعض المسيحيين أكثر من امرأة ، تحت أى مسمى من المسميات . ولقد كان العرب قبل الاسلام يمارسون التعدد دون رابط أو تنظيم ، فلما جاء الاســلام حدده ، بما لا يتعدى أربع زوجــات ، مع ضرورة مراعاة العدل . وفى هــذا يقــول القرآن العظيم فى مطلع **سورة النساء** ، التى استفتحت بطلب التقوى ، ثم تذكير الناس جميعــا باخوتهم فى الانســانية . بحكم أنهم جاءوا فى هذه الحياة نتيجة التزاوج بين الرجل الأول آدم ، والمرأة الأولى ، التى خلقت منه : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحــدة وخلق منهــا زوجهــا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا .**

وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا .

وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتــامى فانكحوا ما طاب لكم من النســاء مثنى وثــلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحــدة أو مــا ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ (النساء : ١ ــ ٣) .

فعلى المسلم الذى تزوج بواحدة ، ثم أراد أن يعدد بالزواج من ثانية ، مثلا ، أن يقف أمام آيات الله هــذه ، ثم يراجع ضميره أمام هذا

السؤال : هل هو مزمع أن يعدل بينهما جهد طاقته ؟ فان وثق فى نفسه ، أقدم على الزواج ، وان خشى عدم العدل ، فكلام الله مبين : ﴿ **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ . اى ، كما قال ابن كثير : « ان خفتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن ـ كما قال **تعالى** : ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم** ﴾ ـ فمن خاف من ذلك ، فليقتصر على واحدة ، أو على الجوارى السرارى » .

ولقد بين القرآن فى الآية رقم ١٢٩ من نفس السورة ، استحالة العدل المطلق بين النساء ، فقال : ﴿ **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما** ﴾ .

ان القاضى فى كل زمان ومكان ، يفترض فيه أن يتوخى العدل ، ورغم ما يبذله الواحد منهم ، مخلصا فى سبيل ذلك ، فقد يجانبه العدل . والعالم كله يعترف بهذا الواقع ، بدليل أنه يجعل المحاكم درجات أو مراحل ، حيث تقوم المرحلة الثانية ، فى أغلب الأحيان ، بتصحيح أحكام المرحلة الأولى ، وهكذا .

والأمر فى العلاقات الزوجية صعب ، ذلك أن الزوج يستطيع العدل بين زوجاته فى أمور المعيشة ، لكن شيئا واحدا لا يملكه ، أو بتعبير أدق ، لا يملك استمراريته ، ألا وهو الميل القلبى . من هنا استحال العدل ، وصرف النظر عن تحقيق نسبة ١٠٠٪ ، ويكتفى بما دون ذلك ، بشرط ألا يتردى الى الحضيض ، وذلك بأن يميل عن واحدة منهن كل الميل ، فينحاز الى الأخرى كل الانحياز .

وفى هذا ذكر ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **فلا تميلوا كل الميل** ﴾ : أى فاذا ملتم الى واحدة منهن ، فلا تبالغوا فى الميل بالكلية ، ﴿ **فتذروها كالمعلقة** ﴾ أى فتبقى هذه الأخرى معلقة .. لا ذات زوج ، ولا مطلقة » .

ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا استفتحت سورة النساء بأمر الناس بتقوى الله ، والتحذير من ظلم النساء ، ومراعاة العدل ، فجاء فيها هذا القول الكريم :

﴿ **واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا** ﴾ ..

﴿ **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة** ﴾ ..

﴿ **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما** ﴾ .

*

هذا ، وبعد أن نزلت آيات قصر الزوجات على أربع فأقل ، قام المسلمون الذين عددوا زوجاتهم بتسريح من زدن عن أربع . فهذا غيلان ابن سلمة الثقفى كان قد أسلم وتحته عشر نسوة ، فقال النبى ﷺ « **اختر منهن أربعا** » ونفس الشىء حدث مع عميرة الأسدى ، فقد قال : أسلمت وعندى ثمان نسوة ، فذكرت للنبى ﷺ ، فقال : « **اختر منهن أربعا** » .

*

بعد ذلك ، وبمراجعة واقع البشرية وتجاربها الأسرية ، يتبين لنا أن تعدد الزوجات حسبما جاء فى الاسلام ، انما هو رحمة من الله ، تؤخذ بحقها ، وخاصة عندما يتعرض الناس ، أمما وأفرادا ، لحالات لا تستقيم فيها حياتهم الا بهذه الرخصة .

فعلى مستوى الأمم والجماعات : لا يوجد أدنى ضمان بجعل عدد النساء مساويا لعدد الرجال ، بحيث يكون لكل أنثى ذكر يتزوجها . فالناس جميعا لا يملكون من هذا الأمر شيئا ، اذ أن الأمر كله لله :

﴿ **لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء**

اناثا ويهب لمن يشـاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير » (الشورى : ٤٩ ــ ٥٠) .

واذا حدث تساو فى فترة ما بين عدد كل من الذكور والاناث ، فلا يوجد أدنى ضمان لاستمرارية ذلك التساوى المؤقت ، بفعل عوامل كثيرة منها : الموت الطبيعى ، والأوبئة والكوارث المختلفة ، ثم هنـاك الحروب التى درجت عليها البشرية منذ نشأتها ، وكان أكثر ضـحاياها حتى عصرنا الحاضر ، من الرجال دون النساء .

ولقد تنبأ أشعياء بما سيكون عليـه الحال فى المستقبل حين تحصد الحرب الرجال ، وتترك الأيتام والأرامل من النسـاء بلا عائل . فيكون الحل الوحيـد الذى يرتضينه عن طيب خاطر ، هو تعـدد الزوجات ، ولو بواقع سبع نسـاء لكل رجل . وفى هذا يقول :

« رجالك يسقطون بالسيف ، وأبطالك فى الحرب . فتئن وتنوح أبوابها وهى فارغة تجلس على الأرض .

فتمسك سبع نساء برجل واحد فى ذلك اليوم ، قائلات : ناكل خبزنا ونلبـس ثيـابنا . ليـدع فقط اسـمك علينـا . انزع عـارنا ـ أشعياء ٣ : ٢٥ ــ ٢٦ ، ٤ : ١ » .

واذا تحقق ذلك التوازن الافتراضى لفترة ما ، فلا يوجـد أدنى ضمان لامكانية تزاوج أى ذكر بأى أنثى ، أو العكس . فهناك عشرات العـوامل النفسـية والمـادية التى تتحكم فى اقامة عـلاقة أسرية بين الزوجين : الذكر والأنثى ...

وأما على مستوى الأفراد : فلا يوجد أدنى ضمان بعـدم حدوث عقم ، أو مرض طويل أو مستعصى الشـفاء ، أو غير ذلك ممـا يعوق تحقيق مطالب الانسان المرجوة من الزواج .

من أجل ذلك ، وغيره كثير ، رحم الله البشر ، فسمح لهم بالطلاق ،

وان اعتبره عملا بغيضا • فقد قال رسول الله : ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق »[1] •

ان هناك حالات صارخة ، لا علاقة لها بزنا الزوجة ، تتطلب وفق أبسط معايير الانسانية والرحمة وما يقال صباح مساء عن المحبة ، أن يحدث الطلاق • ويعالج برتراند رسل مثل هذه الحالات فيقول : « لقد كانت تعاليم الكنيسة ، وما زالت الى الآن ، أن العزوبة أفضل ، أما أولئك الذين يجدون ذلك مستحيلا فيسمح لهم بالزواج ، فلقد قال القديس بولس : التزوج أصلح من التحرق • ولقد فعلت الكنيسة ما فى استطاعتها لضمان أن الشكل الوحيد للعلاقة الجنسية التى سمحت بها تتضمن قدرا قليلا من المتعة وجزءا كبيرا من الألم ، وذلك بجعل الزواج رباطا غير قابل للحل •• لنأخذ ، على سبيل المثال ، مسألة الوقاية من مرض الزهرى ، اذ المعروف أنه باتخاذ الاحتياطات مقدما ، فان خطر العدوى بهذا المرض تتضاءل شدته • ومع هذا ، فان المسيحيين يعارضون نشر معرفة هذه الحقيقة ، حيث انهم يعتقدون أنه من الخير معاقبة الخاطئين • فهم يعتقدون بأن فى ذلك كل الخير ، لدرجة أنهم راغبون فى أن يمتد العقاب الى زوجات الخاطئين وأطفالهم • ويوجد الآن فى عالمنا المعاصر آلاف مؤلفة من الأطفال الذين يعانون من الزهرى منذ ولادتهم ، والذين كان فى الامكان ألا يولدوا ، لولا رغبة المسيحيين فى أن يروا الخاطئين يعاقبون • انى لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن لتعاليم تؤدى الى هذه القسوة الشيطانية ، أن تعتبر ذات تأثير طيب على الأخلاقيات »[2] •

ومن أجل استمرارية الحياة ، سمح لهم بتعدد الزوجات وفق ضوابط مادية وأخلاقية •

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) Bertdand Russll : Way I am not a Christian, pp. 20-21.

أما اذا أساء المسلمون استخدام هاتين الرخصتين ، فالذنب عليهم ، والعيب فيهم ، ومثلهم حينئذ ، كمثل مريض وصف له الطبيب دواء يتعاطاه بقدر ، فأسرف فيه ، فهلك . فتلك سنن الأشياء التى أكدتها خبرات الحياة .

﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾
(فاطر : ٤٣)

* *

obeikandl.com